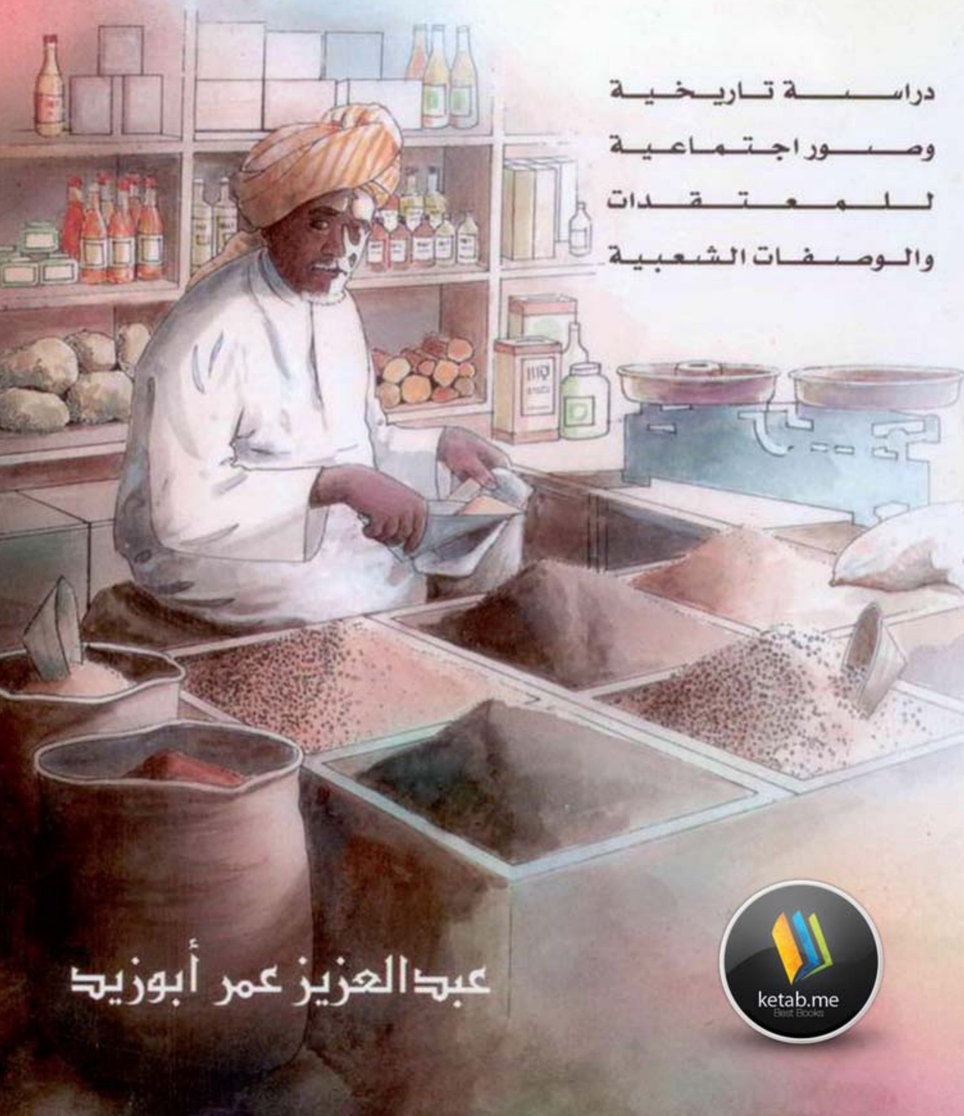
حكايات العطارين
في جدة القديمة

دراسة تاريخية
وصور اجتماعية
للمعتقدات
والوصفات الشعبية



عبدالعزيز عمر أبوزيد

حكايات العطارين

في جدة القديمة

دراسة تاريخية وصور اجتماعية
للمعتقدات والوصفات الشعبية

عبدالعزيز عمر أبوزيد

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبوزيد، عبدالعزيز عمر
حكايات العطارين في جدة القديمة. / عبدالعزيز عمر أبوزيد
- ط ٢ - جدة، ١٤٣٣هـ
١٣٤ ص ؛ ٢١x١٤ سم
ردمك: ١-٨-٠٢١٨-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الطب الشعبي ٢- الطب الشعبي - السعودية ٣- جدة - العادات والتقاليد أ. العنوان
ديوي ٦١٥,٨٨٢ ١٤٣٣/٥٢١٧

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٥٢١٧
ردمك: ١-٨-٠٢١٨-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ

لوحة الغلاف: عبدالشكور حاج محمد علي

الإخراج والتنفيذ:
الأعمال الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

كلما توسعتُ في البحث والقراءة والإطلاع على تاريخ وتراث جدة القديمة، وجدتُ طبيبها العطار وأحد فرسانها ونجومها يختبئ بعيداً عن أي مساحة تسلط عليه الضوء، أو تحاول معرفة شيء عن تراثه أو تسجيل شيء عن حياته وتاريخه وتاريخ العطارة والطب الشعبي في هذه المنطقة التاريخية.. والتي كما يبدو من القليل من الحكايات التي تحمل ذكريات العطارة، وتردد شيئاً من مواقفها بأنها ذات تاريخ عريق وتراث جميل يصعب تجاهله لمجرد اختباء فارسه لأي ظرف من الظروف.

لكن السبب وراء اختفاء الشيخ العطار بخصوصيته التي ترتبط بالمكان والظروف، يعود إلى السقوط التدريجي غير المتوقع من حسابات المجتمع القديم وهو في عز أوجه ونشاطه وحركته، بعد الصراع الطويل بدءاً بهدم سور جدة العتيق عام ١٣٦٧هـ الذي كان يؤطر حدود جدة ويحدد اتجاهاتها وحاراتها.. فخرجت المدينة تجري وتزحف وتتوسع في كل الاتجاهات، تاركة حدودها التاريخية وقلبها النابض، في الوقت الذي يرعى فيه العطار نبضاتها بوصفاته الشعبية التي تمتد من الرأس إلى القدم.

وفي نفس ذلك العام الذي فقدت فيه المدينة نكهتها وطابعها القديم، شهدت جدة إقامة أول مستشفى خاص أعطى الإشارة لسباق جديد يقوده الأطباء، وشهدت المدينة الصغيرة زحف الأطباء ليشددوا الحصار على العطارة وينافسوهم على المريض الواحد.. وأصبحت وصفات العطار «دقة» قديمة في نظر أبناء الجيل الجديد. ولا يبحث عنه إلا القلائل

ممن عاشوا حياتهم داخل السور القديم مع شخصيته المباركة ووصفاته الأسطورية التي لا يجوز التشكيك في فعاليتها وقدرتها بين أبناء المدينة الصغيرة التي كبرت مع عمليات الهدم والزحف السريع على هويتها وملامحها التراثية والشعبية، حينها فضل العطارة بأن يكونوا أول الرجال المحترمين الذين رحلوا بتراثهم العريق عن المنافسة المحرجة.

ولا بد من الإشارة إلى أن مسيرة العلاج الطبي بالطب الشعبي قد صاحبها شيوع بعض الأفكار والمعتقدات الخاطئة وترويج بعض الخرافات والمشعوذات التي تخالف عقيدتنا ولا تتفق مع منهجنا وشريعتنا السمحة، إلا أن تسجيلها بنفس صورتها السابقة كان أمراً حتمياً تقتضيه أمانة التسجيل والتدوين والرصد.

ولعل هذه هي المحاولة الأولى من نوعها التي تلقي الضوء على عطار جدة القديمة، في ظل عدم وجود أي مراجع أو كتب تناولت العطار بشيء من الدراسة أو الكتابة أو الذكر الهامشي مما يغفر الكثير من أخطاء أو زلات المحاولة الأولى التي ارتكزت على الاجتهاد والالتقاء بكبار السن والمعمرين ومراقبة آخر العطارين ممن شهدوا وضع العطارة قبل الهدم وبعده، حتى أصبح أطباء البلدة بالأمس هم اليوم مجرد بائعي أعشاب وبهارات طعام تثير الحساسية لدى أصحاب الأنوف الحساسة.

عبد العزيز عمر أبو زيد

عيادات جدة القديمة

تسعة محلات قديمة للعطارة تتوزع في كافة حارات جدة القديمة، يقف عليها أطباء البلدة «العطارة» ليعالجوا بمئات الوصفات الشعبية التي تمتد من الرأس إلى القدم.. وهذه المحلات تمثل العيادات المتخصصة في زمن الإمكانيات البسيطة والحياة الشعبية التي لم يكن للناس فيها سوى الاتجاه إلى الشيخ العطار عند الشكوى من أي ألم أو وجع عارض ليضع العطار وصفته الشعبية لها ويخضع مريضه للحمية اللازمة، ويردد نصائحه وإرشاداته التي كانت محل الاهتمام والتقدير والاستماع في تلك الأركان التاريخية التي عاش خلالها العطار عقوداً طويلة مليئة بالنجاح وهو في قمة عطائه وتواجده.

وكان عطار جدة القديمة الذي يقف خلف عيادته الشعبية يحمل وصفات طبية لا يختلف عليها اثنان من خبراء العطارة وهم أطباء لم تخرجهم أكبر جامعات العالم في ذلك الحين ولا ينقصهم سوى إجراء العمليات الجراحية في زمن سبق عصر الطب الحديث وطب الأدوية والعقاقير.. حيث كانت الأعشاب تجتمع تحت يد الشيخ ليفصلها ويصنفها لتناسب كل حالة مرضية بطريقته الشعبية المتعارف عليها في عيادات العطارين.

وأولى العيادات الشعبية للعطارة وأكثرها شهرة وانتشاراً عيادة الشلبي لصاحبها الشيخ أحمد قمصاني الذي كان يتوسط في سوق العلوي كوكبة من العطارين الخبراء المشهود لهم بالمعرفة بفنون العطارة وأصولها، ولم يتخلد محل الشلبي للعطارة بجدة القديمة إلا بعد سنوات طويلة من العطاء بدأه الشيخ محمد الطائفي وهو العطار الشهير الذي أورث شهرته للشيخ حامد الشلبي حتى عرف الناس ذلك

المحل باسم الشلبي.. وعلم الشلبي بعد ذلك فنون العطارة لابن أخته أحمد قمصاني حتى اشترى محل خاله عام ١٣٥٤هـ ليبقى اسم الشلبي على المحل ويعيد لأذهان الناس سمعة وتاريخ الشلبي كوفاء منه لمعلمه القدير وظل الناس حتى يومنا هذا يلقبون أبناء أحمد قمصاني الذين استمروا في مجال العطارة بهذا اللقب القديم.. وكان محل القمصاني يضم ثلاثة مساعدين الأول عبد العزيز هاشم والثاني أحمد العروضي والثالث أنعم غيلان.

والمحل الثاني للعطارة هو محل العطار سعيد باديب بجانب مسجد عكاشة ويأتي في الدرجة الثانية من حيث الشهرة والانتشار بعد الشلبي العطار، وكانت العيادة الثالثة للعطار حامد أبوالحمايل بسوق الندى والرابعة للعطار محمد فتح الله بباب شريف.. وكذلك محل العطار محي الدين مليباري بحارة النورية «سابقاً» وهو أحد أقدم العطارة فقد بدأ العطارة عام ١٢٩٠هـ وكان محله هذا بمثابة مخزن متكامل لتجارة العطارة بالجملة ويعاونه في هذه المهمة ابنه العطار محمد علي مليباري وبعد وفاة والده عام ١٣٦٥هـ تعرض محل العطارة ضمن مشروع هدد حارة النورية للهدد بالكامل مما دفع الابن محمد علي إلى فتح محل جديد ببرحة نصيف بسوق العلوي عام ١٣٨٥هـ، وكان أيضاً أبناء التاجر عبد القادر نور ولي وهم عبد الغني ومحمد نور ولي قد دخلا تجارة الأعشاب واستيرادها من الخارج في محل ثابت بجانب مسجد المعمار بسوق العلوي وكانت محلات المليباري ونور ولي تشكل روافد هامة تدعم محلات العطارة بأهم الأعشاب وتعينهم على تدبير وتوفير أندرها.. أما المحل السادس للعطار سعيد باقبص بسوق العلوي وبجانبه محل العطار



العطار سعيد باقبص

عبد الله سالم باقبص، وأخيراً محل العطار حسن لمبة بسوق الندى، وكذلك محل العطار محمد داود الهندي والعطار حسام الدين بجانب مسجد عكاشة.

وقد صادفت الظروف ظهور عطار في باب شريف يحمل نفس اسم العطار حامد شلبي إلا أن المحل لم يستمر طويلاً بعد وفاته.. وكان الناس يتعاملون معه وهم على علم بسر تشابه التسمية لمعرفة الناس ببعضهم البعض في مجتمع جدة الصغير.

ويذكر عمر محمود باعيسى عمد محلة الشام والمظلوم سابقاً «كان الطب الشعبي والعطارة في جدة القديمة بوجود هذه النخبة من أسماء العطارين تمثل ثقلاً على مستوى المنطقة، فالعطارة أمثال الشلبي وباديب يستقبلون حالات من خارج مدينة جدة بحكم شهرتهم الواسعة وخبرتهم في هذا المجال، وإن المنافسة كانت عالية بين العطارة إلا أن الشلبي وباديب كانا من أشهر العطارين وأكثرهم انتشاراً».

وبذلك شهدت هذه العيادات التاريخية الطبية بوجود هذه النخبة المميزة من العطارين نقلة ضاربة لوضع العطارة في جدة القديمة في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وساهمت هذه النقلة في وجود منافسة جديدة فيما بين العطارة أدت إلى تسابقهم وسعيهم المستمر للتعرف على الجديد في مجال الطب الشعبي والوصفات المختلفة وتراكيبها وحصولهم على المراجع الهامة في هذا المجال للاستعانة بها عند مواجهة حالات مرضية جديدة عليهم قد تعترض أحد السكان خشية انتشارها وتفشيها بين أبناء جدة القديمة وكذلك سفر بعضهم إلى دول كانت معروفة بالعطارة كسوريا ومصر والهند لجلب أندر الأعشاب التي

قد لا تتوفر لعلاج أمراض خطيرة أو مزمنة كمحاولة للقضاء عليها عند ظهور أعراضها المبكرة والاستفادة من تجارب العطارة المعروفين في تلك الدول الشهيرة في مجال العطارة والاجتهاد بالسؤال عن وصفات شعبية تعالج أمراضاً أصابت أحد أبناء جدة القديمة وتعثر عليهم علاجها.

وكان هناك اثنان من وكلاء العطارة بجدة القديمة، يجلبون أنواع الأعشاب والوصفات الشعبية من مدينة بومباي الهندية وهما محمد عمر جمبهاي وغلام رسول، حيث كانت بومبي هي أكبر سوق للعطارة يستمد عطارة جدة القديمة أعشابهم ووصفاتهم منها.

تبدأ عيادات جدة الشعبية العمل بعد صلاة الفجر مباشرة ليستمر العمل بها والطلب الملح عليها حتى صلاة العشاء، بمعدل خمس عشرة ساعة يومياً، ويكون بعدها العطار ومساعدوه قد أنهكوا من شدة الإقبال والطلب، فلا يكاد العطار يفرغ لنفسه في ركنه التاريخي من الطلب المتزايد على الوصفات التي يعكف لتجميعها ويكرس كل وقته لتنسيق معادلاتها واحتمالاتها لكل حالة منفصلة على حدة من المرضى الذين لا يجدون سواه من طبيب يرعى أمورهم الصحية سواء من أبناء جدة القديمة أو من الطارقين لشهرته وانتشاره من خارج سورها العتيق.. وقد يتطلب الأمر من العطار الانتقال إلى موقع المريض في منزله إذا تطلب الأمر ذلك واستدعت الحالة ضرورة الانتقال ليترك مساعداً ينوب عنه في استقبال الطلبات العارضة والمتكررة، ويؤجل المساعد الحالات التي تحتاج إلى معرفة وخبرة معلمه ليبت بشأنها لحين عودته من المهمة الاضطرارية.

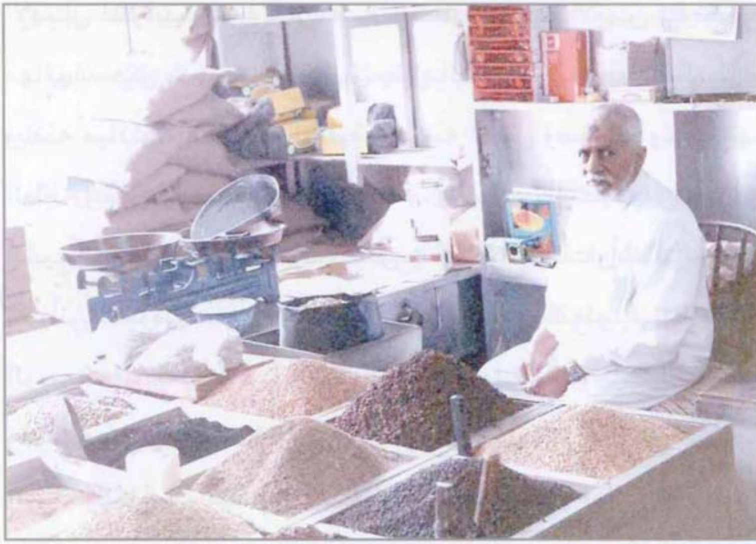
العطار أحمد العروضي والعطار عبد الله سالم باقبص والعطار

عبد الله سعيد باقبص يحكون شيئاً عن محلات العطارة «المحلات كانت أشبه بالمناحل من شدة الإقبال والطلب.. وكان الناس يلتفون حول طبيبهم العطار بمشاعر التقدير والاحترام ويستمعون إلى وصفاته وينفذونها بالحرف الواحد.. ومن منطلق هذه المهنة الإنسانية كان العطار يبذل قصارى جهوده ويمنح كامل وقته لمرضاه، وهذه المهنة الإنسانية تدر بطبيعة الإقبال المستمر عليها أرباحا مجزية تكون حافزاً له للاستمرار بنفس الحماس والجهد اليومي».

لا أحد من سكان جدة القديمة لا يعرف الشيخ العطار، والجميع يثق بطرقه العلاجية.. فساعات المرض المحرجة ستوقف كل ساكن على عتبة العطار وترغمه لطلب بركة وصفاته ويرخي رأسه من شدة الألم وصعوبة الموقف طالباً العلاج وهو يبوح له بألمه وشكواه ليمنحه العلاج ويُسمعه سبل الحمية ويخضعه للوقاية اللازمة.

وكان العطار يعي أبعاد مسؤوليته الإنسانية في ذلك المجتمع البسيط ويضع أهل حارته نصب اهتمامه بعيداً عن الأرباح التي بمقدوره تحقيقها من ممارسة العطارة والطب الشعبي بقليل من الاستغلال ويجعل من نفسه أحد أثرى أثرياء وأغنى أغنياء المدينة التاريخية قياساً بالأنشطة التجارية الأخرى كما يصف لنا العطارة ممن عايشوا زمنها القديم، ونتيجة للطلب المستمر والملح لشخصه الذي يثق به الناس البسطاء ورغم ذلك الوضع المغري تجارياً وربحياً إلا أن وصفة العطار الطبية لا يتجاوز سعرها مهما بلغت تكلفتها وندرتها وجهد العطار في جمعها الريال الواحد مما يزيد الولاء ويعزز الثقة في شخصه.

كل عطار يحرص على اختيار مساعد له أو أكثر من مساعد، يكون



العطار في جدة القديمة

موضع الثقة والائتمان والخلق بعد التأكد من رغبته في تأدية هذا الدور الإنساني وعشقه هموم هذه المهنة ومتاعبها التي لا تقاس بأرباحها مهما كانت مغرية وتجارتها رائجة وسريعة الأرباح حتى يؤدي الدور الإنساني الذي ينتظر القائم على هذه المهنة ويقف بجانب معلمه الذي يثق الناس بأمانته وإنسانيته ويسقيه العطار خلاصة تجاربه ليعينه على مواجهة الإقبال المتزايد ويكون خليفته في العطارة وسنده الأيمن في تغطية مهامها.. فكل شخص يتمنى بأن يقبل العطار ابناً له يعلمه العطارة ويلقنه مبادئها الإنسانية الراقية ويدرسه أصول وصفاتها وتركيباتها الطبية ويكون في مستقبله خلفاً للعطار الشهير وينال قليلاً من خبرات الشيخ العطار الذي يلتف حوله الناس في أصعب الأوقات وأشدها حرجاً.

ويأتي الحرص على الاختيار من منطلق عدم النظر إلى الجوانب الربحية والمادية كأساس لقيام محل العطارة واستغلال حاجة الناس لها وهو الهدف الذي لا يتفق مع مبادئ الشيخ العطار الأب والشيخ وصاحب البركة والكرامة.. فيعلم مساعده إنسانية العمل قبل ممارسته كتجارة رائجة وليرضَ بظروف مريضه المادية مهما كانت بسيطة وليغض نظره عن بعض الحالات التي يتجلى خلالها بإنسانيته ونبل أخلاقه الرفيعة التي تخوله لتلك المكانة التي يراها فيه أبناء بلدته الصغيرة. فلو فكر العطار في أن يزحزح أطراف تلك المعادلة بين الجانب الإنساني والجانب الربحي فسيتحول العطار الشيخ صاحب البركة إلى تاجر تتسع تجارته مع كل يوم جديد يلاقي فيه الطلب المتزايد على وصفاته وبركاته، وكما يقول العم صالح علي خضري عن هذا الجانب «كان هناك تقليد يتبعه البعض من السكان بعد أن يتلقى العلاج من العطار ويشعر باسترجاع

عافيته بإذن الله بأن يزور العطار ويشكر له ذلك الفضل بعد الله تعالى وربما إذا كان المرض قد سبب هواجس سيئة في تفكير المريض يحاول تقبيل يديه بعد الشفاء كتعبير منه عن الولاء والفضل لخدمته العلاجية التي لم يتجاوز سعرها القروش المعدودة وأنقذت حياته من الخطر واستبدلت تشاؤمه بتفاؤل ونظرة جديدة طموحة للحياة.. فالحاجة إلى العلاج وقت ذروة الألم والخوف من أعراض وآلام المرض لا تقدر بثمن ومال مهما بلغ، وهذا ما يشعر به العطار بالسعادة ويرفع من معنوياته وهو يمارس عمله».

ويأتي دور مساعد العطار في تغطية مكان معلمه أثناء انشغاله لأي ظرف من الظروف التي تستوجب مغادرة المحل لساعات أو لأشهر في حالة ارتحال الشيخ العطار طالباً الاستزادة من الوصفات والأعشاب في أي موقع يشتهر بالعطارة.

وينتظر السكان نتائج رحلة شيخهم والتي قد تسفر عن وصفات وأعشاب جديدة وحديثة تدفع البلاء عن سكان جدة القديمة وغالباً ما يعِد العطار قبل رحلته بعض مرضاه ممن يعانون من أمراض مزمنة بأن يسأل لهم عن وصفات تزيد من حصيلته وربما تجلب الشفاء لهم.. فكل ساكن له عطاره المفضل الذي يقتنع ببراعته ومهاراته من بين العطارة التسعة الذين يتعاونون في حلهم وترحالهم في تبادل الوصفات التي يحتاجها أي منهم فيقدمها لمريضه الذي يعلق آماله على رعايته لحالته ومحاولاته واجتهاداته الشخصية.

وكانت مدينة جدة عموماً في ذلك الزمن مساحتها الإجمالية لا تتجاوز كيلو متر مربعاً، ومحاطة بسور تم بناؤه عام ٩١٥هـ حماية للمدينة من

هجمات أعدائها في عهد قانصوه الغوري أحد حكام دولة المماليك[١]، والسور له أربعة منافذ (باب جديد شمالا وباب البنط غربا وباب شريف جنوبا وباب مكة شرقا) وهذه الأبواب تقفل بعد صلاة المغرب ولا يسمح لأحد للدخول أو الخروج منها، وظلت جدة محدودة المساحة والحركة حتى عام ١٣٦٧هـ عندما تم هدم السور لتتسع في كافة الاتجاهات.

وكانت جدة بطبيعة موقعها تستقبل الوافدين إلى الأراضي المقدسة من حجاج أو معتمرين لذلك تجد سكانها باقة زهور من الأجناس والبلدان المختلفة فهي بذلك جمعت ثقافات مختلفة وحضارات مختلفة على طوال عمرها الذي يرجع شاهد من شواهده إلى عام ٢٥هـ عندما اختارها الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه لتكون ميناء لمكة المكرمة [٢]. فكان سكان جدة يطالعون حضارات الأمم الأخرى من منافذها المفتوحة بحكم أهمية موقعها، وسايرت هذه المدينة التاريخية الصغيرة ركاب الحضارات الإسلامية على مر العصور ابتداءً بالعهد الأموي ومروراً بالعهد العباسي والمماليك والهاشميين العثماني وانتهاءً بالعهد السعودي الميمون.

وتتسم هذه المدينة بالأزقة الضيقة والممرات التي تفصل بين مبانيها المتقاربة والمبنية بواسطة الأحجار المنقبية والخلطة البحرية ويميزها الرواشين الخشبية والمشربيات، وبلغ عدد سكانها حتى قبل تاريخ هدم سورها ستون ألف نسمة [٣].

وكانت المدينة التي تلامس شاطئ البحر الأحمر تعاني من شح المياه وندرتها وهي أزمة حدت كثيراً من حركتها ونموها حتى تأسست العين العزيزية في نفس العام ١٣٦٧هـ[٤] حيث كان السقا هو رجل الأزمة الذي

يجلب المياه للسكان من الكنداسة [٥]، أو من مياه الصهاريج[٦] أو مياه الآبار خارج المدينة.. وجمعت هذه الأزمة أغنياء جدة وفقراءها في هم واحد وهاجس واحد وهو البحث عن قطرات المياه والعمل على توفير المياه والمحافظة على قطراتها في أشد الأوقات حاجة وسؤالاً لمادة الحياة الأساسية.

فالفقير يعمل ويكد يومه ليحصل على زفة[٧] المياه والغني يكتنز قطرات المياه لأوقات ندرتها وشحها، ويتكافل ويتساعد أفراد المجتمع لمقاومة هذه الأزمة بروح المجتمع الواحد، فالذي يبخل عن المساعدة اليوم ستجبره الظروف غداً لطلب قطراتها.



جدة داخل سورها التاريخي

نبوءة الطب الحديث

ظهرت أول صيدلية في مدينة جدة القديمة تحت اسم محل بيع أدوية بالمفرق عام ١٣٦١هـ لصاحبها سعيد التمر بشارع الملكة أو فيصل قديماً وشارع الملك عبدا لعزيز حالياً فكانت نبوءة العطارين بظهور الطب الحديث، المزعجة لفكرهم والمحرجة لتاريخهم ووضعهم ومكانتهم بين أبناء مدينتهم القديمة، وهي إشارة أيقظت التشاؤم بخطورة ظهور الطب الحديث في أولى علاماته.

وعلى الرغم من عدم التفاف الناس للصيدلية ولما تقدمه من خدمات جديدة ومتطورة قياساً بأساليب العطار وطرقه العلاجية الشعبية القديمة، لكن تلك النبوءة تكشف للعطارين الإشارة الأولى لقدوم علم جديد وتجارة جديدة للطب قد تبني أساساتها على سرقة زبائنهم من أبناء جدة القديمة، وهو علم في بداية نموه وبداية تجارته قابل للتطور السريع ويختلف بطبيعة الحال عن ما يقدمه العطار من أعشاب ووصفات شعبية شكلاً ومضموناً.

وتلك النبوءة التي ظهرت إشارتها الأولى بصيدلية التمر قد أرعشت أطرافهم وهزت كراسيهم رغم إخفائهم سرها وعدم بوحهم وإفشائهم لها في وقت كان فيه الجميع يسيرون وراء العطار ليتلقوا منه الوصفات المختلفة والمتجددة ورفض الناس منافسة محل الأدوية وعلاجاتها وعقاقيرها لشخصية العطار صاحب الشخصية المباركة والقريبة من نفوس الناس وقلوبهم ووسط أرضه وجمهوره.

وشكوك العطارين وقلقهم يتجه نحو هذه التجارة الجديدة التي تحارب أعشابهم ووصفاتهم وطرقهم التقليدية وربما نال بمرور السنين من علاقتهم بالسكان وسيتحول الطب الشعبي الذي يديره العطار

بعلاقة أبوية وأخوية تجمعه بالسكان إلى علاقة تجارية تقوم على أساس الربح السريع، فالعطار الذي يعرفه الجميع ويتعاملوا معه بروابط اجتماعية حميمة لا ينظر إلى الأمور المادية كأساس لوجوده أو لتحقيق طموحاته وهمومه التي ترتبط بهموم الناس وشكواهم وأمراضهم وتقديره لظروفهم وأوضاعهم البسيطة، مما يزيد تأصيل العلاقة لصالح العطار ويعثر وجود وانتشار الصيدلي.

وصدقت فعلاً تلك النبوءة على الرغم من وجود مستشفى الحكومة الذي يعود إنشاؤه إلى العهد الهاشمي فقد تم إعادة تجديده وتأهليه عام ١٣٥٣هـ[٨]، فلم يكن لوجود هذا المستشفى المجاني أي منافسة تكاد تطفو بين الأعداد القليلة التي تزوره من المرضى والأعداد التي تنهال على العطارة لطلب العلاج لأي أمراض عارضة أو أعراض طفيفة.

وأعاد عبد الرؤوف بترجي شكل المنافسة بعد أن أقام ثاني صيدلية أو محل لبيع الأدوية في شارع الملكة عام ١٣٦٣هـ أي بعد عامين من إقامة صيدلية التمر، مما زاد من يقين العطارة بصدق نبوءتهم لهؤلاء الشباب الذين يحملون مفاتيح الطب الحديث بمحاولاتهم لإقناع الناس بما لديهم من طرق علاجية حديثة، وبدأ الناس ذلك الحين يتغامزون ويتهامزون على هذه الصيدليات التي لو صدق أقوال من يقوم بها فسوف ترمي بشيخهم العطار أو على الأقل تنال من مكانته وسمعته.

ودعم موقف الصيدليين انضمام صيدلي ثالث ساحة المنافسة بالقرب منهما بشارع الملكة وهو عبد الحميد الرويحي وهو أول صيدلي متخصص يحمل شهادة عليا في مجال الصيدلة من جامعة فرنسية وذلك في نفس العام ١٣٦٣هـ، ولكنه لم يستمر طويلاً حيث وافته المنية

بعد فترة قصيرة من افتتاحه الصيدلية.. وكلف بعدها ورثته عاملاً ليعيد فتح الصيدلية ولكنها لم تستمر طويلاً حيث أغلقت أبوابها عن العمل نهائياً بعد أعوام قليلة.

ويقول عبد الرؤوف بترجي بأن الصيادلة في بداية أمرهم لم يكونوا منافسين للعطارة بأية حال وإنما كنا شباناً متحمسين لخوض تجربة جديدة ونشاط تجاري جديد قد يكون له إقبال في المستقبل وتتحقق لهم طموحاتهم وحماسهم.. وإن الشعور بأنهم أطباء المستقبل كان يشكل لديهم إصراراً على المواصلة لخدمة المجتمع الصغير، فالمريض الذي يجرب الأدوية الجديدة وتتحسن حالته يتجه للصيادلة بالشكر والعرفان مما كان يرفع من روحهم المعنوية ويؤكد لهم مؤشرات النجاح التدريجي.

الصيدلي إلى جانب العطار

واشتدت المنافسة باقتراب الصيادلة من مواقع العطارة ففي العام نفسه افتتح يحي باناجه مكتباً للاستيراد وأنشأ مخزناً خاصاً للأدوية بالجملة بالقرب من سوق الندى وبالقرب من محل العطار حسن أبو الحمايل والعطار حسن لبة، ليمثل المخزن أول مركز لبيع الأدوية بالجملة للصيادلة الموجودين والمتوقع ازدياد عددهم كأي تجارة ترى وجودها في أي موقع جديد.

وحصل في العام نفسه حسين ناظر على ترخيص رسمي لبيع الأدوية بالجملة بجانب مسجد عكاشة وبمقربة من العطار الشهير سعيد باديب، وكان الناظر يتلقط البواخر المصرية ليشتري ما قد يحمله ركابها من



صورة شارع الملكة حديثاً

أدوية يدعم بها صيدليته واستمرت حتى منتصف الثمانينيات الهجرية من القرن الماضي.

وفي عام ١٣٦٧هـ سافر عبد الرؤوف إبراهيم بترجي إلى أكثر من دولة أجنبية بهدف الحصول على فرص استثمارية طبية ليمثل عدداً من الوكالات الطبية العالمية التي تنتج الأدوية آنذاك، ونجح في الحصول في ذلك العام على وكالة شركات عالمية مثل «أربجون» و«أرجنون» و«بار» مما دعم موقف الصيادلة وزاد من تماسكهم واستمرارهم.

ويشير البترجي بأن علاج الصيادلة كان أيضاً بالبركة وربما لم يكن يبتعد كثيراً عن طريقة العطار.. فكنا نحفظ أسماء الأدوية وطرق استخدامها والأمراض التي تحدد لها دون المعرفة بخلفية المرض أو حالاته أو حتى أعراض الدواء الجانبية التي قد تكون له خطورة على المريض.. وكنت أحفظ في ذاكرتي طريقة استخدام الدواء والمرض المخصص له.

ولم يستمع إلى الصيادلة إلا القليل بوجود العطار حتى هذا العام ١٣٦٧هـ الذي شهد هدم سور هذه المدينة.. وبعد هدم السور فقدت جدة الكثير من ملامحها الشعبية والتراثية حين اتجهت للتوسع الأفقي الرأسي لتتحرر من حدودها دون أن تحتفظ مع السرعة التي صاحبت التوسع والانتشار على هويتها القديمة وسمتها التاريخية، لكن إصرار الكثير من الناس على العطار كان آخر قطرات الوقود التي تشعل لدى العطار رغبة الاستمرار والبقاء وذلك الإصرار ينبعث من خشيتهم وحرصهم على عدم خدش علاقتهم بشيخهم الذي سيُحرج من سرقة الصيادلة لأقرب عملائه.

ومما يؤكد تكاتف العطارين تجاه هذا الوضع الجديد، محاولاتهم لإبعاد المنافسة ولو المؤقتة عن محلاتهم ومسايرة التطور السريع في أعداد الصيادلة، وذلك بشرائهم من الصيادلة بعض الأدوية البسيطة التي بدأ الناس يتعرفون عليها وطبيعة استخدامها في الحالات اليومية العارضة وهي أدوية لا يشترط صرفها بموجب وصفات أطباء مستشفى الحكومة بجدة وقام العطارة بعرضها في محلاتهم لتكون من ملحقات وصفاتهم الشعبية كتأكيد لتطور وصفاتهم ومنها الشاش والماكركروم والاسبيرو وماء غريب والنوفلجين والبنسلين وزيت كبد الحوت وزيت الحوت والابتركس وقطرة البائر وقطرة المرجان وحبوب الحياة والملح الإنجليزي والتونك والفملكس والفكس وبعض المسكنات والسلفا والديتول والأدفور.

وكما يؤكد عبدالرؤوف بترجي فان العطارة كانوا زبائن دائمين لمحلات الأدوية، فكان العطارة يشتروا الأدوية التي حققت انتشاراً والتي سبق الإشارة إليها، وكنا لا نمانع في ذلك باعتبار العطارة زبائن دائمين لنا، ولكن ذلك أكد لنا بأن وجودنا بدأ يهددهم لذلك كانوا يبادرون إلى اقتناء وبيع أدويتنا التي حققت الانتشار.

البداية الحقيقية للمستشفى

كل أفكار وتصورات العطارين لم تذهب عبثاً رغم اجتهاداتهم لمسايرتها، وذلك بأن شهدت جدة القديمة افتتاح ثلاثة مستشفيات خلال فترات متقاربة، ففي عام ١٣٦٥هـ بدأ المستشفى الهندي وهو لم يكن إلا عبارة عن مستوصف مصغر أقامته الجالية الهندية لعلاج

أفرادها القادمين لغرض الحج أو العمرة، ويستقبل الحالات التي تطرق بابه من أبناء جدة طوال العام حيث يقل عليه الضغط والإقبال، وبعد ذلك تم افتتاح مستشفى خالد إدريس عام ١٣٦٧هـ وهو أول مستشفى خاص في مدينة جدة[٩]، ثم بعدها بأعوام قليلة مستشفى اللبناني ومستشفى أبوزنادة، وكانت هذه المستشفيات في بداية أمرها تستقبل مرضى لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة في ظل وجود العطار وتمتعه بكامل لياقته ووصفاته بين أبناء مدينته ممن يعيشون مشاعر الشهامة والشجاعة والأخوة وروح الأسرة الواحدة، وهي مبادئ ترفض أي تشكيك في قدرات شيخهم العطار أو في أسلحته أو تجاوز بركته في العلاج بالذهاب إلى المستشفى مهما يقال عن المستشفيات من إمكانات متقدمة وحالات رأت الشفاء بعد زيارتها.

فالكثير، مثلاً، يخشون دخول تجارب جديدة تتلاعب بصحتهم تفادياً لأي سلبيات قد لا تحمد عقباها، والبعض يصورون الأدوية والعقاقير الطبية كأنها سموم ربما تقتل العضو المريض كما تقتل المرض أو تحتم نتيجة الأطباء بضرورة استئصال العضو المريض أو بتره لمجرد تصورات الأطباء التي قد تختلف، أو بإجراء عمليات جراحية معقدة، وهو أسلوب لا يعترف به العطار الذي يعالج بالسفوف أو ينصح بالكي، والبعض من البسطاء يذهب إلى الاعتقاد أن هذه المستشفيات جُعلت لإجراء التجارب الطبية عليهم، والتي سوف تنفذ على كل من يقع عليه الاختيار من زوارها، كل هذه الآراء التي تحارب الطب الحديث كانت تثار على مائدة العطار من جانب مؤيديه والمتمسكين بوصفاته الشعبية.

الزيارة للفئة المغامرة

القليل قد غامروا بزيارة المستشفى لعرض حالاتهم المزمنة التي شهدت عراكاً دام سنين مع وصفات العطار وأثبت عندها عجزه للتعرف عليها بأسلحته البدائية وطرقه الشعبية، ووجدوا في المستشفى الدقة في الكشف والتحليل والوصف والعلاج والعناية اللازمة التي قد تتطلب التنويم إذا استدعت الحالة ذلك، وهذه الفئة المغامرة واليائسة من حالاتها المزمنة ينتظر الناس آراءها ونتائج مغامراتها وما شاهدوه في المستشفى، فتشهد المجالس الروايات والحكايات عن علاج وأساليب المستشفى ومقدرتها على اكتشاف جميع الأمراض التي أنهت حياة فلان وحطمت مستقبل فلان وأصابت أخر باليأس دون مقدرة من العطار على عمل شيء يذكر لمقاومة المرض، وينصط الجميع إلى هذه الظاهرة الجديدة التي أثبتت نجاحها بعيداً عن مسامع العطار ووصفاته، ومع مرور الأيام بدأ البساط يتزحزح من تحت أقدام العطار الذي شم رائحة الخطر منذ قيام أول صيدلية في شارع الملكة.

ويقول حسن محول ومحمد زاكر بأن زيارة المستشفى كانت تتم دون إحراج العطار، فتتم الزيارة دون علمه ومعرفته، خاصة إذا كانت الحالة تحت إشرافه ورعايته في العلاج، ويلجأ المريض إلى المستشفى على أمل الشفاء الذي يمكن أن يدفع المريض لعمل أي شيء لتحقيقه.. وخاصة بعد نجاح حالات مماثلة زارت المستشفى طلباً للعلاج.

وهنا يروي حسن محمد جوهر قصة في هذا الجانب ذهبت بحياة والده نتيجة الاعتماد على وصفات العطار فيقول: «إن أعشاب العطار



الصيدلي عبدالرؤوف بترجي



العمدة عمر باعيسى

لا شك بأنها كعلاج صحية وطبيعية لكن العطار ينقصه العلم بخلفية المرض، والمعرفة بما يضره ويهيجه، فأتذكر حادث والدي الذي عرضه لجرح عميق ولكنه ليس مميتاً حسب تصورات العطار ومن شاهد الجرح، لكن الذي لم يعرفه العطار هو أن والدي يرحمه الله كان من الممكن بأن يكون مصاباً بمرض السكر وهذا المرض لا تكشفه إلا التحاليل الدقيقة للدم، وربما أن العطار ينصح بشرب السوائل المسكرة والتي تزيد من ارتفاع السكر في الدم مما أدى إلى الوفاة دون سبب وكل شيء بقضاء الله وقدره».

والفئات المتعلمة والغنية والمتحضرة كانت تنتظر قدوم الطبيب المتخصص وساهمت في نجاحه وتشجيعه منذ بداية ظهوره، بزيارته والتعامل مع علاجه كما يؤكد حسن محمد جوهر.. وأن هذه الفئة المتعلمة تميل إلى ما يقدمه الطبيب على أساس أنه أكثر دقة في العلاج وتحديد المرض.

العطار تحت مجهر الأطباء

وكان الأطباء في المستشفيات الثلاثة الأولى المذكورة يزرعون تحذيراتهم وتنبيهاتهم للمرضى القلائل الذين يزورون المستشفى طلباً للعلاج وتتجه نحو ضرورة الامتناع عن وصفات العطارة مثلما يحذرون وينبهون على ضرورة الامتناع عن أي جانب يزيد من استفحال وتفشي المرض.. أو على الأقل التأكيد على ضرورة استشارة الطبيب عند أخذ أي وصفة شعبية من الشيخ العطار بحجة أن وصفات العطار غالباً ما تكون عشوائية وما قد تسببه هذه العشوائية من هدم للبرنامج العلاجي

الذي يضعه الطبيب بدقة.. وهذه التحذيرات التي يكررها الأطباء مع كل جرعة دواء تعطي أملاً جديداً للحياة وتهز من صورة العطار ومن الولاء لشخصه، ومثلما ينقل زوار المستشفى تصوراتهم وانطباعاتهم عنه ينقلون بأسى واستياء تحذيرات الأطباء التي تهاجم العطار وتنتقد نصائحه فلا تنفذ وصفاته إلا بعد مرورها تحت مجهر الطبيب ليؤكد سلامتها أو يثبت عدم صلاحيتها للاستخدام.

ويقول العطار عبد الله سالم باقبص «إن المنافسة القوية بين المستشفى والعطار كانت تستوجب بقاء أحد الطرفين، مما جعل كل طرف يسعى لإسقاط الآخر وسحب جمهوره وإقناع الناس بصحة ما لديه، ولكن الأطباء كانوا يركزون على جانب التشكيك على عدم ارتكاز وصفات العطار على الدقة والصحة في كل الأحوال لعدم خضوع وصفاته للتحليل والكشف الدقيق كما هو الحال لدى الأطباء».

وكان العطار خلال تلك المرحلة قد فقد سلاحه المهم وهو اقتناع قطاع كبير من الناس بما يقدمه، والذي زاد من تلك التجاوزات على مكانة العطار قيام مراقبي ومفتشي الشؤون الصحية بجولات رقابية مكثفة على محلات العطارين في سوق العلوي وباب شريف وسوق الندى، لوقفهم عن بيع أي أدوية طبية واقتصارهم على بيع وصفاتهم الشعبية ومعاقبة أي عطار لا يلتزم بهذه التعليمات الأمر الذي يجبر الجميع على زيارة الصيدلية التي تبيع الأدوية بموجب وصفات الأطباء.. وهي ضربة فلقت رؤوس العطارين الخبراء وأفقدتهم فعلياً ثقتهم في وجودهم ومكانتهم في مجتمعهم القديم. وتتأزم نفسياتهم يوم بعد يوم من غمز ولمز الناس على الخيار الجديد المنافس للعطار والذي حقق نجاحاً مؤكداً لحالات

كثيرة عانت مرارة المرض باجتهادات ووصفات العطار.

وبقي العطار بوصفاته أسيراً لحالات عشوائية نادرة تلجأ إليه بعد أن تفشل أدوية وعقاقير وتحاليل الأطباء في انتزاع المرض منها، لتتجه لأعشاب العطار كآخر احتمال يعلق المريض ولو بقشة أمل في حصوله على العلاج.. بذلك تكون نبوءة العطار التي قد تحققت كاملة بعد خمسين عاماً، وصل خلالها عدد المستشفيات والمستوصفات والعيادات الخاصة إلى الثلاثمائة، وعدد الصيدليات إلى السبعمائة والخمسين[١٠]، جعل هذا العدد من العطارة مجرد بائعي توابل وبهارات الطعام من قرفة وقرنفل وهيل وكمون وغيره !!



العطار عبدالله سعيد باقبص

أحفاد الشلبي

استطاع أربعة من العطارين القدماء أن يبقوا محلاتهم التاريخية التي كانت أشبه ما تكون بعيادات طبية متكاملة لأجيال قادمة، وأن يبقوا لأحفادهم تراثاً يحمل جزءاً حياً وناصعاً من تاريخ جدة القديمة، وتكون مع تعاقب الأجيال أحد دلائل عراقة جدة وشواهد نهضتها وانفتاحها على العالم الخارجي باعتبارها البوابة الأولى لقبلة الإسلام وقلب العالم الإسلامي، فهي توصل العالم بمكة المكرمة.. المدينة التي تربط الأرض بالسماء.

وتعبر المحلات الباقية في نفس مواقعها القديمة عن شيء من هموم مجتمع جدة القديمة والقليل من معتقداته وأفكاره وإمكانياته وتلقائية تفكيره وولائه ووفائه للعطار.. إحدى الشخصيات الهامة والبارزة فيه.

واستمرار هذه المهنة بصورتها التقليدية ومكانتها التاريخية لم يتحقق كما كان العطارون الأوائل يخططون له بنية المحافظة على هذه المهنة من غزو الأطباء وحضور المستشفيات والعيادات الخاصة حتى وصل عددها في وقتنا الحاضر إلى الثلاثمائة بينما لم يتجاوز عدد العطارة وهم في أوج شهرتهم وعز مجدهم التسعة عطارة وكانوا رغم محدودية عددهم وكثافة الإقبال على محلاتهم قادرين على تغطية دورهم وتأدية واجبهم دون النظر إلى الجوانب المادية مما جعل المجتمع القديم يتبارك بهم وينظر لهم بعين الإكبار والإجلال والتقدير.

فليس أمام العطارة إلا وضع إشاراتهم التي تحمل آمالهم وطموحاتهم على من يقع عليهم الاختيار للعمل في العطارة لمساعدة العطار وتشرّب أصول المهنة وقواعدها وخفاياها.. بعد تلمس العشق والتأكد من صدق أهدافه ونواياه فالعطار الذي ينظر إلى المادة يتعامل معه الناس بحدود

وجوده. أما العطار الذي يعرفه الناس دائماً ما يرفع نفسه عن هذه النظرة المحدودة لهذه المهنة الإنسانية.. والذي حدث فعلاً هو أن العطارة الذين أوقعوا إشاراتهم على أبنائهم ليورثوهم عشق العطارة ومسؤولية بقائها في الموقع المخضرم هم من نجحوا في تحقيق تلك الغاية التي خطط لها العطارة منذ ما يزيد عن نصف قرن بعد المنافسة الجديدة التي قد أُرغموا على خوض تفاصيلها والرضى بنتائجها والتي لم تكن غالباً في صالح مكانتهم وتاريخهم.

ويكرر محمد زاكر وعبد الله سعيد باخريبه، من سكان حارة الشام: «لأن العلاقة التي تربط العطار بالناس ليست علاقة تجارية بالدرجة الأولى فكان يصعب على كثير منهم قبول منافس له، علاوة على اقتناع الجميع بقدراته وإمكانياته العلاجية التي لا تبتعد عن أسلوب الناس وحياتهم الشعبية، وذلك ما كان يجعلنا مرتبطين بالعطار بل ونتقبل منه أية وصفات قد تكون غريبة أو آراءه التي قد تكون غامضة، فهذه القناعة بصحة أقوال العطار ونصائحه منتشرة بين أكبر نسبة من الناس.. كما أن الحديث عن وصفات العطار كان ذا شجون فهناك من يحاول حفظ أكبر عدد من وصفات العطار التي استطاع معرفتها منه سواء بقصد العلاج أو السؤال العابر، وفي الأحاديث الاجتماعية عند شكوى أحد الحاضرين من أعراض معينة ينصحه بالوصفة التي يحفظها نقلا عن العطار».

بداية ظهور الطبيب الخاص

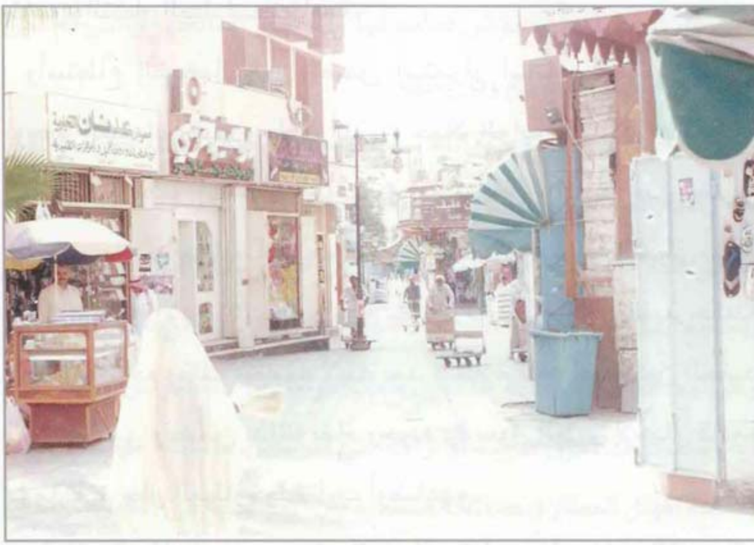
وأول العطارين الذين واجهوا غزو الأطباء ومنافسة المستشفيات الخاصة هو أكثرهم شهرة وانتشاراً، وهو العطار أحمد قمصاني الشهير

بـ «الشلبي» الذي يكاد يتسيد المنافسة بين العطارة في تلك الفترة وهو المرشح الأول لكسب الجولات فيما بينهم، وكان حريصاً على أن يعلم أبناءه العطارة بعد أن بدأت المنافسة تظهر على السطح بين الأطباء والعطارة مما أصبح يشكل هاجساً بين العطارة يزيده قلقاً بدء ممارسة الطب كنشاط تجاري ناجح مع بداية عام ١٣٦٧هـ عند قيام مستشفى خاص وانتشار العيادات الخاصة.

وأستطاع القمصاني أن يضمن استمرار اسمه وشهرته القديمة بوجود ابنيه إبراهيم وحامد اللذين حملا الراية من بعد وفاته عام ١٣٦٩هـ، واستمر إبراهيم وحامد في إدارة محل والدهم حتى انفصل حامد بمحل جديد للعطارة يحمل اسم القمصاني ببرحة المتبولي بسوق العلوي، وبقي الابن الأكبر إبراهيم في إدارة محل والده وتنفيذ حكمته في نفس الموقع وذلك بتعليمه لابنه عبد السلام للعطارة ليكون الحفيد الأول للشلبي ويضمن بذلك بقاء وجوده في سوق العلوي لأجيال قادمة مهما تأزم حال العطارة واستاءت أوضاعهم.

وكذلك العطار أحمد بن علي العروضي ترك محل معلمه القمصاني بعد وفاته لينفرد بفتح محل مستقل للعطارة عام ١٣٨٠هـ بسوق العلوي وبالقرب من محل معلمه الذي تشرب فيه أصول العطارة على يد أشهر أربابها. وقد علم وصفات العطارة التي يحفظها ويجيدها لقريب له وهو العامل محمد عبدالقوي العروضي وظل يعمل في محل العطارة بوتيرته السابقة بعد وفاته عام ١٤٣٠ هـ.

ويتذكر العطار أحمد العروضي بأنه حينما انفرد بمحل مستقل كان قد اكتسب جمهوراً عريضاً نتيجة عمله لسنوات طويلة مع الشلبي.. واعتماد



سوق العلوي حديثاً

الشلبي عليه كمساعد له في عمل الوصفات واستقبال حالات المرضى عند تغيبه، وكان حفظه للوصفات وتطبيقه لها بحذافيرها في محل الشلبي جعل الناس يقبلون على محله الجديد بعد وفاة معلمه الشلبي.

وبدأ العطار محي الدين مليباري يمرّس ابنه محمد على العمل بين ساعديه في محله في النورية في عام ١٣٥٥هـ فالمحل لم يكن فقط للأعشاب وإنما تجاوز ذلك لتجارة وتموين الأعشاب وبيعها بالجملة وبعد وفاته عام ١٣٦٥هـ احترف ابنه العطارة في محل آخر بالعلوي وانتقل زبائن وعملاء والده إلى سوق المنافسة بين العطارة بالعلوي عام ١٣٨٥هـ تحت عمارة الجمجوم، وكان محمد علي مليباري هو العطار الوحيد الذي بادر بتسجيل محله بصورة رسمية في الغرفة التجارية بجدة عام ١٣٧٨هـ ليعلن محله قائمة جديدة خاصة بمحلات العطارة في هذه المدينة كنشاط تجاري معتمد بموجب سجل تجاري صادر عن الجهة المسؤولة عن تنظيم الحركة التجارية بجدة. واحتل بذلك محل العطار المليباري السجل رقم واحد ضمن الكشوفات الخاصة بالعطارة كنشاط تجاري معتمد.

وبعد وفاة محمد علي مليباري واصل ابنه عبد الفتاح مسيرته بعد أن تعلم منه أمور وأحوال العطارة وهو في صباه منذ عام ١٣٨٨هـ، فلم يتوقف بذلك المحل يوماً واحداً عن العمل ليبقى على سجل والده الأول دون احتلال اسم آخر لهذا الموقع الذي فتح سبيل التجارة الرسمية للعطارة وفتح بعدها محلاً بجانب المحل القديم ببرحة نصيف بالعلوي عام ١٤١٢هـ وهو أكثر الشبان من أحفاد العطارة المتحمسين والمصرين على الاستمرار في هذا المجال بكل ما فيه وبقلة من فيه.

ورفض العطار سعيد باقبص بالعلوي أن يترك محله للعطارة تلعب به الرياح بعده، فقد بدأ ممارسة العطارة بمرافقة ابنه عبد الله عام ١٣٧٣هـ وقد تعلما العطارة سوياً في أول محل لهما بالعلوي وصدقت رؤيا الأب في ابنه عبد الله الذي واصل العطارة في محل والده بعد وفاته بنفس شكلها التقليدي القديم.. واستطاع عبد الله بأن يزرع في محل والده حفيداً محباً وعاشقاً للعطارة وهو الشاب سالم عبد الله سعيد باقبص، عطار أباً عن جد والحفيد الذي يدير محل جده تنفيذاً لحكمة العطارة في مدينة جدة القديمة في موقع واحد لم يتغير لأكثر من أربعين عاماً.. وقد شجع سعيد باقبص ابن أخيه عبد الله سالم باقبص دخول مهنة العطارة إلى أن فتح محلاً بجانبه في العام ١٣٩٦ هـ وقد عمل به من بعده أبنائه محمد وسالم وأخيرا ابنه صالح.

أما العطار محمد فتح الله، فهو العطار الثالث الذي حاول تدريب أبنائه معه في مجال العطارة بعد محاولة جادة منه في تنشيط محله وإنعاشه بنقل موقعه من باب شريف إلى حارة اليمن ليضمن هناك لمحله سوقاً أكثر حركة وإقبالاً، ولم يستمر بعدها كثيراً حيث وافته المنية.. ولم يستمر كذلك أبناؤه في إدارة المحل بصورة منتظمة وكلفوا بائعين أجنبيين للعمل في محل والدهما ويظل بذلك المحل تلوح به رياح الربح والخسارة ويتوقف الأمر على اجتهاد العاملين في بقاء محل تجاري لا يعرفان شيئاً عن تاريخه. والعطار حسن لمبة، فقد سبقهم جميعاً بالرحيل دون أن يترك أحداً يعمل في محله بسوق الندى.. وكان لمبة يعمل بمفرده بالمحل دون مساعد له أو عامل بجانبه، وبعد وفاته اقفل محله نهائياً وكان ذلك قبل وفاة الشلبي بسنوات قليلة.

وقد تعرض محل العطار سعيد باديب بجانب مسجد عكاشة، أحد أشهر العطارة إلى الهدد الإجباري وذلك ضمن تنفيذ مشروع توسعة المسجد عام ١٣٧٩هـ[١١]، حيث كان المحل أحد المحلات التي وقع عليها الاختيار لإخضاعها للهدد الإجباري، وكان يقف إلى جانب سعيد باديب إخوانه سالم وعبد القادر..

وصادفت أحوال العطار باديب ما كان ينتظر مصير العطار حسام الدين الذي ترك العطارة بعد إزالة الدكاكين بجانب مسجد عكاشة لتوسعته.. فقد اعتزل حسام الدين العطارة وابتعد عن مزاولتها تماماً.

وقبل وفاة العطار حامد أبو الحمايل بسنوات قليلة في حدود عام ١٣٧٨هـ زوج ابنته للعامل الذي يساعده في محله بسوق الندي.. واستمر صهره عبد الله حزام بعد وفاته يدير محل معلمه حتى قل الإقبال والطلب على المحل تأثراً بغياب أبو الحمايل، وقل المردود المادي الذي لم يوف تكلفة استمراره وبقائه، مما أجبره على إغلاق المحل تاركاً العطارة نهائياً وراضياً بدخل محدود في إحدى المصالح الحكومية.

أما تجار الأعشاب والعطارة عبد الغني ومحمد نور ولي فقد تركا تجارة العطارة نهائياً بإغلاقهم المحل القديم بالعلوي بعد أن فقدت العطارة بريقها وسمعتها ومكانتها وأرباحها كتجارة رائجة ومتجددة قبل نحو الخمسة عشر عاما ودخلا تجارة جديدة وحديثة قد كان لها السبق في إسقاط تجارتهم القديمة، وهي تجارة أدوية الطب الحديث بافتتاحهم الصيدليات الحديثة التي تلغي بحداثتها وأرباحها ذكرياتهم القديمة مع العطارة بسوق العلوي.



د. ناجي عبدالرزاق



العطار أحمد العروضي

وقد انتهى محل العطار محمد داود الهندي تماماً بعد مفارقته الحياة قبل عشرين عاما تقريبا، وكان محمد داود يحتفظ لنفسه بوصفات خاصة وأساليب معينة في العلاج بالأعشاب.. فكان يكتب وصفاته بعد حفظها في العبوات بلغة «الأردو» التي لا يعلم بها أحد من سكان جدة فلا يستطيع أحد غيره فك رموزها ومعرفة تراكيبها وتفاصيلها وبالتالي التعرف على وصفاته السرية.

البقاء للعشق فقط

وإذا كان كبار العطارة من جيل الشلبي قد اصطدموا بظهور منافسة جديدة عليهم بقيام المستشفيات الخاصة وحرب القائمين عليها للعلاجات الشعبية التي يقودها العطار فإن الجيل الجديد للعطارين يواجه منافسة أكثر صعوبة.

ويشترك هنا في الرأي أحفاد العطارة وهم الشاب سالم عبد الله باقبص ومحمد عبد الله باقبص وعبد الفتاح محمد علي محي الدين مليباري على أن المنافسة أصبحت أكثر صعوبة وأخذت منعطفاً شديد التعرج ولا يستمر في العطارة الآن إلا شخص عاشق لها ويمارسها من منطلق الرغبة في التحدي لتحقيق النجاح والاستمرار بقوة. وهناك كما يقولون بوادر نجاح لمحلات العطارة تبدو لهم في عودة فئات قليلة من الناس على استخدام العلاج من جديد في الحالات العارضة.

فقد واجه أبناء العطارة منافسة أكثر قوة تستهدف العلاج الشعبي أضعفت حماسهم ونشاطهم وعشقهم المتوارث على غرار قيام المستشفيات من خالد إدريس إلى أبو زنادة واللبناني، وذلك بقيام مشاريع صغيرة بدأت تطرق أبواب النجاح بجدة القديمة منذ عام

١٣٧٥هـ المتمثلة في العيادات الخاصة التي شاركت العطار الجري وراء الزبون الواحد ولامست ببساطتها أفكار الناس البسطاء وتعاملت معهم بلغة الحارة في الإقناع ومصادقة أطبائها للسكان حتى أصبح لكل ساكن طبيبه الخاص الذي يعرف ظروفه وأحواله وحياته مما جعل العلاقة بالطبيب في كثير من الأحيان علاقة صداقة بينه وبين زبونه المريض ويشرف مستقبلاً على علاج الأسرة كنتيجة طبيعية لهذه الصداقة.

والبداية التي فتحت المجال لانتشار العيادات الخاصة كانت لطبيبين ايطاليين(١٢) في باب شريف ظهر بعدهما بعد عام ١٣٨٠هـ عدد من الأطباء الشبان من أبناء جدة القديمة وأولاد الحارة الذين واصلوا دراساتهم في الخارج ليسهلوا المهمة ويقربوا هذه العيادات إلى الناس بلغتهم البسيطة، وقد تمركزت وتجمعت عياداتهم الطبية في باب شريف وباب مكة، ومنهم الدكتور عبد الرزاق ناجي وحسان غزاوي وأحمد هارون وسليمان فقيه وعبد الرحمن بخش وهشام ملحس وعبد القادر الترك وعبد الله باناجه وأحمد داغستاني وغيرهم ممن قادوا الطب الحديث إلى البيوت المنقبية التي كانت تتسم مباني جدة القديمة بأحجارها.

وأصبح لكل ساكن طبيبه الخاص من أبناء حارته الشعبية، يحكي للجميع عن ما شاهده في عيادته وصداقته لقائدها الذي كان يعبث ويلعب سنوات في أزقة الحارة «بالطيري والطيش والكبت والبرجون» ويسير وراء المعايدين في العيد الكبير ليحصل على قسمته من العيدية كحال جميع أطفال المجتمع الصغير المتماسك.. يحكي ذلك للبقية المعدودة التي لا زالت تتمسك بالعطار وتصرّ على بقائه ووجوده مهما كانت نتائج أدوية الأطباء لحالاتهم المرضية.



العامل : محمد عبدالقوي العروضي



سالم عبدالله سعيد باقبص

علاقة الداية بالعطار

تستطيع الداية بأن تتعرف على ملامح المرأة الحامل ببديهية خاصة وبسرعة التقاط لبعض الإرهاصات والبوادر بخبرتها الطويلة فمثلاً يمكن لها معرفة ذلك من مشية المرأة وعرجة قدميها أو رعشة العينين، وهذه المقدرة تمثل التحليل المبكر لحالات الحمل في أولى حالاته.

وتستعد الداية عند قرب موعد ولادتها بشجرة مريم لتسهل أمرها وتلهيها عن مشقة وأوجاع الولادة الأولى، وتقدم لها وصفة الشمس الغاربة والشمس الشارقة لو أرادت تكرار الحمل والإنجاب وبعض الوصفات التي تعينها على استرجاع قواها المفقودة من الحمل الذي استمر تسعة أشهر وآثار الولادة وأوجاعها.

الداية التي تعالج أطفال ونساء الحارة كانت رفيقة درب العطار طبيب البلدة، وهمزة الوصل التي توصل النساء بعيادة العطار من جانب وتعرف الأطفال أعشاب العطار وأهمية موقعه، فكانت تشاركه الهم الواحد والهاجس الواحد بحكم الحاجة الملحة التي تنادي ببقاء العطار واستمرار وجود الداية التي ورثت المعرفة في الوصفات الشعبية من والدتها كعمل متوارث بين نساء الحي.

فيرتبط عمل الداية في المقام الأول بمحل العطار الذي تتعامل معه للحصول على مواد وأعشاب وصفاتها بالنسب التي تحددها والتي أصبح العطار نتيجة خبرته في التعامل مع وصفاتها يتقن جمعها كما هو مطلوب ويزيد عليها عند بعض الحالات التي قد تتطلب من العطار إبداء تجربته فيها.. لكن العطار عموماً لا يستطيع مقارعة أو مجاراة خبرة الداية في وصفات النساء والأطفال الرضع فهي مولدة نساء الحي والأقرب إليهن والأدرى بخلفيات أمورهن وأحوالهن الصحية.

وكان عدد الدايات أكبر من عدد العطارة لسبب أن الكثير من النساء بحكم التصاقهن بالداية وقربهن منها تجعل الكثير من النساء يحفظن الوصفات العامة والخاصة بهن وبأطفالهن الرضع.. فالمرأة الواضعة تحرص على معرفة الوصفات الهامة التي تجبرها الظروف لمعرفتها والبحث عنها لتقدمها إلى صغيرها الذي يبكي دون معرفة الأم بشكواه وعلته، وتتولى الداية بحكم خبرتها تقديم الوصفات لحالاتهم خلال أطوار نموهم المختلفة، وبالأخص منهم ممن أشرفت على توليدهن، فكان في كل حارة من حارات جدة الأربع أكثر من داية خبيرة تؤدي هذا الدور الهام والمطلوب إلى جانب الشيخ العطار الطبيب العام للبلدة، وكان من أشهر دايات جدة الداية حليمة الهندية[١٢] والداية عاشورية والداية نفيسة طربيها والداية أم حسين مزيبلي والداية أم محمد شلبي والداية عسيلة.

نساء جدة القديمة كُنّ يسلمن لما تقوله دايتهن من وصفات مختلفة تكشف شكوى صغارهن وتترجم بكائهن المستمر والمؤلم وغير المعروف، فيقتنع النساء بتحليلات الداية لثقتهن بخبرتها الطويلة في هذا الجانب.

الولادة بكف مريم

من الوصفات التي كانت تعرف بين نساء الحي وصفة شجرة مريم أو كف مريم التي تسارع الداية لجلبها وإحضارها من محل العطار عندما تعتلي صرخات المرأة وطلقها حيث يستنجد أهلها بإبلاغ الداية لضرورة الحضور الفوري وتوليدها بطريقتها التقليدية، وتقدم الداية فور وصولها إلى ذوي المرأة التي تعاني من طلق الولادة غصن شجرة



عشبة كف مريم

علاج نفسي يخفف معاناة الولادة

مريم في وعاء متسع مليئ بالماء لتترك الغصن يسبح في الوعاء.. وما أن يشم غصن مريم رائحة الماء إلا وتبدأ أغصانه الغامضة بالتفتح البطيء الذي يستغرق نحو الساعة والنصف إلى الساعتين، على اعتقاد قديم ومتوارث بأن اكتمال تفتح الغصن يوافقه خروج الجنين ورؤيته للنور فتظل المرأة التي تعاني من الألم تدعو وهي تنظر إلى وعاء الماء تسبح فيه الشجرة وتنشغل بعض الشيء بتفتح أغصانها التي تعلن انفراج كربتها وذهاب ألم الولادة عنها، وهو بالتأكيد اعتقاد ليس له أساس من الصحة.

وهذا الاعتقاد القديم تجدده الداية في كل موقف مماثل يدل على اهتمامها بأهمية إشغال الواضعة عن الألم الشديد الذي تعاني منه ربما لساعات، وتهيئتها نفسياً لتحمل آخر وأشد مراحل الطلق والتي تشير

إلى بدء خروج الجنين من رحم أمه وهو جانب نفسي هام تركز عليه الداية خاصة وأن تفتح أجزاء شجرة مريم يستغرق نحو الساعتين، وهو الوقت الطبيعي الذي تصل فيه الواضعة لآخر مراحل الطلق في الحالات اليومية المتكررة، وهي حكمة نفسية بالغة التأثير لوضع وحالة صاحبة الألم التي تتوسل وتناجي ربها الكريم بخلاص كربتها وضائقتها.

وللتخفيف من آلم الولادة تدهن الداية كامل منطقة حوض المرأة بالجوزة وزيت السمسم وهذا ما يسهل الولادة في نظر الداية، فالذي يحدث بأن الجوزة التي يُمنع الآن بيعها رسمياً في محلات العطارة تخدر منطقة الحوض مما يخفف كثيراً من ألام الطلق.

وإذا كان وضع الجنين غير طبيعياً أي منحرفاً حيث يصعب نزوله تأتي الداية بسجادة عريضة، وتتمدد عليها المرأة، ويتولى النساء تحريكها ذات اليمين وذات الشمال حتي يتعدل وضع الجنين وينزل بصورة طبيعية(١٤).

الشمس الغاربة والشمس الشارقة

من أمثلة معتقدات الداية المتوارثة قديماً ما يسمى بنشرة النفاس الخاصة بالمرأة الواضعة بعد انتهائها من فترة الأربعين.. وهي وصفة تخص فقط المرأة التي ترغب في الحمل وتكرار الإنجاب مرة أخرى وفي المستقبل القريب جداً.. فتغتسل المرأة بوصفة دايتها في يوم الأربعين بعد أن تتم كامل فترة الحيض وبعد غروب شمس ذلك اليوم حسب شرط الداية وتنبيهها، فتلقي المرأة ظهرها للشمس الغاربة وتعطي وجهها للشمس المشرقة صباح اليوم الجديد، باعتقاد أن الشمس الغاربة

سترحل مع غروب الشمس بما ذاقته من ألم وستغرب ما تجرعته من أوجاع الحمل السابق على حد اعتقاد المجتمع القديم.



الفك والفكوك

لاستبشار مولود قادم

وستأتي الشمس المشرقة غداً التي تنتظر استقبالها بلهفة لغد جديد ينبئها ويبشرها بحمل جديد أخف ألماً وتعباً ومشقة وهماً بعد إرادة الله أولاً، وهذه الوصفة يكون لها تأثير نفسي بالغ للمرأة التي تلد لأول مرة لتهيئتها لاستقبال حمل جديد إن كانت ترغب ذلك، وهي رغبة تبوح بها المرأة لدايتها لتعد لها هذه الوصفة المكونة من الورس والكرفس والفك والفكوك والباذنجان الأسود والباذنجان الأخضر وحزمة رجلة.. حيث تغلي هذه التركيبة لتغتسل بها المرأة حسب توجيهات دايتها.

وصفة الحمل الأول

وتلتقط الداية بفطنتها وسرعة بديهتها أولى بوادر وإرهاصات الحمل بمجرد رؤية سحنات وملامح المرأة ومراقبة مشيتها وعرجتها أو رعشة عينيها كما تؤكد الداية وهي تبشر المرأة بحملها دون طلب أو معرفة صاحبة الشأن.. وعند التأكد من بوادر الحمل تأتي الداية للمرأة التي تحمل لأول مرة أو كانت تنتظر الحمل طويلاً بوصفة بخور تجمعها من محل عمليها العطار، وتنصح الداية باستخدام البخور طوال الشهور الأولى من الحمل لدفع وإبعاد أعين الناس وحسدهم لها، خاصة وأن نبأ حمل أي امرأة في الحي ينتشر بسرعة المكوك لجميع النسوة مما يزيد من حرص المرأة التي تنتظر الحمل طويلاً على الالتزام بوصية الداية خشية على جنينها من أعين النساء اللاتي لم يذكرن الله عند استقبال هذا الخبر المفاجئ وهذا يؤكد إلى جانب إيمان البعض بهذه الخرافات تصديقهم الكامل ما تقوله الداية، وتتكون وصفة البخور من اللبان الشحري والحبة السوداء والفاسوخ والكلخ والفارعة وبذر الحرمل وشبة الفؤاد والشذاب والفطيمون والصرافة وعين وظفر العفريت. وتداول هذه الوصفات الخاطئة والتي تخالف طبيعة المجتمع يؤكد تصديق النساء الكامل لما تقوله الداية.

وفي حالات الوضع والنفاس تجمع الداية وصفة مكونة من اثني عشر صنفاً لتتناول منه الواضعة بعد الولادة مباشرةً مكونة من الكراوية واليانسون والهيل الحبشي واللبان الشحري وسكر النبات والعناب

والخرنوب وزهـرة البابونج والحبة السوداء والحلبة والشمر والشيح ويضاف إليها قرفة أو خولنجان.. حيث تغلي جميع هذه الأصناف ومن ثم تسقي منها الداية المرأة لتزيل أوساخ ترسبات الولادة.. وإذا صاحب المرأة نزيف بعد الولادة، فتصف لها الداية وصفة دم الأخوين وشراب مكون من النشا والورد.



الهيل الحبشي



شبة الفؤاد

الهيل الحبشي وشبة الفؤاد يبعدان مخاوف المرأة الحامل

استرجاع القوى بالسحلب والمُغاط

خلال فترة الأربعين تعطي الداية للواضعة وصفة تغتسل بها لتعينها كما تشرح الداية، على استرجاع قواها وتشد وتسند حيلها الذي انقطع خلال الولادة وتهيئها لمعاودة القيام بأمور وواجبات بيتها التي تنتظرها بعد إتمـام الأربعين يوماً.. وتتكون الوصفة من الإذخـر وقشر الرمان والصرافة والبشام والعص، وإذا جاءت الولادة خلال أيام البرد تخشى الداية على الواضعة من الضعف وقلة الغذاء فتنصحها بلك الظهور وبالسحلب والمغاط والصمغ والتُفة والكتيرة والموصلي لتطبخ من الحليب والعسل.. وحتى لا يؤثر البرد الشديد على وضعها الصحي الهزيل بعد الحمل والولادة التي تزامنت مع حلول أيام البرد.

ويسترجع العطارة ذكرياتهم مع الداية «كانت الداية معروفة بخبرتها العالية.. فلا يستطيع أي عطار مجاراتها في وصفات النساء أو الأطفال، وإذا وقفت الداية أمام محل العطار تسرد أمامه طلبها من الوصفات التي قد يصل عدد أحدها إلى الأربعين صنفاً بترتيب معين كوصفات الوضع والنفاس عند النساء على سبيل المثال لا الحصر».

وتقدم الداية البربريس للمرأة التي تعاني من اضطرابات في حيضها وذلك بعد غليه مع الفوة والزبيب الأسود وقليل من التمور.

رائحة الحلتيته لحماية الأطفال

أما إذا جاء المولود جميلاً ووسيماً وبديناً فتسارع الداية بإخفاء وصلة حلتيته في ملابسه الداخلية أو في الغرفة التي ينام بها وهي ذات رائحة كريهة، حتى لا تنال منه أعين الحاسدين الذين قد يتناقلون ذكره فيما بينهم، أو تخفي بعض الدايات قليلاً من شوك القنفد أو المر الحبشي تحت طاقية رأسه التي تقاوم العين وتكافح الحسد كما تقول الداية ويعتقد النسوة وهي اعتقادات خاطئة في كل الأحوال.



الحلتيته
ذات رائحة كريهة تصرف الأنظار عن حسد الصغار

وكذلك المرأة الجميلة والوسيمة والتي تحافظ على لياقتها ورشاقتها وجمالها وتهتم بإظهار ذلك الجمال أمام النساء في المناسبات التي تجمع نساء الحارة مثل مناسبات الزفاف والسابع وغيرها وهي وصفة بخور مكونة من أربعين صنفاً، منها شوك القنفد والفك والفكوك والفارة والفرفارة والجنزارة والكبسة والكجمة وحب النيل والفطيمون وشبة الفؤاد وعين العفريت.

فبعد أن تتبخر المرأة بهذه الوصفة تتحلى بكامل زينتها أمام جميع النسوة وتختار أجمل لباسها وحليها دون أن تضع أي اعتبار لانشغال الناس بالحديث عن جمالها وحسنها وزينتها بعد وضعها لأعينهم الحصن الواقي الطارد لنظراتهم الحاسدة.

ويصف هنا العطار للنساء الـ «حديدية» أو السكة مع الشبة أو الصرافة لإزالة عرق الإبط، حيث تدهن المرأة بهذه الوصفة منطقة الإبط.. وينصحها بالورس الأصلي لإزالة حب الشباب، وذلك بخلطه مع زيت السمسم أو النارجيل لتلبخ المرأة وجهها لطرد حب الشباب الذي يزعجها.

ويبيع العطار للنساء وصفة «الحسن» أو «الشنقرف» أو «زيان» وتدقه به المرأة ناعماً لتجميل وتنعيم الوجه.

ولجمال وتزيين الشعر فهناك وصفة «الهدسة» مكونة من الهدسة والورد والريحان والمحلب الأبيض والمحلب الأسود والسنبلة وزهرة الطيب. بالإضافة إلى دور هذه الوصفة كغذاء لطبقة الرأس.

ويمنح العطار للنساء الحجر البحري لتنعيم منطقة كعب القدم التي غالباً ما تصاب بخشونة نتيجة المشي المستمر.

وفي حالة تساقط الشعر أو ظهور حساسية في منطقة الرأس فيدق

لها العطار السابلة والماسكة وساق الحمام وعرق الإيقر ويخلطها مع زيت اللوز الحلو وزيت الخروع وزيت النارجين وزيت الزيتون.. وهناك وصفة «البردقوش» الذي يستخدم مع زيت السمسم أو زيت الزيتون أو زيت النارجيل.

غسيل العين بماء البصل

تقوم الداية بحكم خبرتها وثقة جميع النساء بها برعاية أطفال الحي الرضع، فتقوم الداية بعد حالة الولادة مباشرة بتكحيل عين المولود بماء البصل حيث تغرز مرود الكحل في قلب البصلة وتكحل بها المولود ثم تكرر العملية بالكحل الطبيعي وذلك لحماية العين وتطهيرها بطريقة الداية، وأي واضعة لا تنفذ هذه الوصفة ترجع سبب أي ضعف أو التهابات قد تظهر على عين مولودها ولو بعد سنوات طويلة لعدم تقيدها والتزامها بوصية الداية وحكمتها التي تبعد الالتهابات عن العين مدى الحياة.

وإذا كان الرضيع يعاني من إمساك، فتنصح الداية بملعقة صغيرة من اليانسون بعد غليه، وإذا ظهرت علامات تقلصات في معدته، فتنصح بزهرة البابونج والكراوية والهيل الحبشي أو وصفة أخرى مكونة من النيلة العراقي والكات الهندي والقرض القصيري والمحلب والكمون وقليل من الصرافة، وإذا لاحظت الداية علامات مغص شديد تسقي الطفل مع الحليب وصفة لبان النار الذي يضاف إليه الفلفل الأسود والعصفر والحلبة أو الخيار المشبر مع العسل.. وإذا واجه الرضيع إسهال مستمر فتقدم له الداية جموع الرمان بعد دقها مع اللبن الحامض.

وفي حالة معاناة الرضيع من كتمة في صدره فتنصح الداية بملعقة من

الزنزفور مع الحليب.. وإذا اشتدت سخونة الطفل فتصف له الخاشقير بعد حله بالماء.

وإذا اكتشفت الداية حالة مشع في صدر الطفل الرضيع فتدهن منطقة صدره بالعنزروت أو بذر الحمار أو فص الحمر، كما تستخدم الداية التشمة لالتهابات عين الطفل.. أو بدق الحلبة وتخلط ببياض البيض ويدهن مكان المشع بإضافة زيت السمسم، وعند معاناته من حصر في بوله فتسقيه من بذر الخيارين بعد دقه وتفويره وتصفيته أو اللبان الشحري مع العصفر.

وتقوم الداية بتحنيك الرضيع بهرس فص تمرة وفحسها في سقف فك الرضيع حتى تتماسك منطقة «الحنك» بواسطة المادة اللزجة والمفيدة الموجودة في التمر.

ولا تزال الداية حتى يومنا هذا موجودة، وتورث إحدى بناتها عشق وصفاتها الشعبية التي تحقق التواصل مع العطار بجمعها الأعشاب من محله القديم الذي فقد قيمته ووزنه ووجوده التاريخي وأصبح مجرد مستمع لطلبات الداية ومتابع لإشاراتها التي تستعيد ذكرياته القديمة معاً.

وتمارس الداية عشقها حتى يومنا هذا دون وصول الأطباء لساحتها ودون مقدرتهم على التسلل لدائرتها أو محاولة إسقاطها كما كان الحال مع العطارة بقيادة شيخهم الشلبي.. فالداية تعمل بخفاء، لا يستمع أحد لهمسها أو تحركاتها، وبدون أن يكون لها موقع رسمي أو معروف، فهي تنتظر من يقصد وصفاتها من النساء في بيتها في جدة القديمة كما هو الحال مع الداية رشيدة، أو في جدة الجديدة كما هو الحال مع الداية أم زهران.. فلا يعرف أحد طريقها إلا بواسطة إحدى النساء

المتعاملات معها، بعد أن امتدت مدينة جدة القديمة من كيلو واحد إلى ما يقرب المائة ضعف ومن أربع حارات شعبية إلى عشرات الأحياء الفارهة، يتجاوز مساحة حي واحد منها كامل مساحة جدة القديمة، وربما بأضعاف مضاعفة !

وصفات على شاطئ بحر الأربعين

بحر الأربعين.. كان يمثل مرحلة هامة وأساسية من مراحل العلاج عند العطار، فكان سكان جدة القديمة الذين يعيشون على مشاعر الأخوة والشهامة والنشامة يصدقون كل ما يقوله شيخهم العطار من وصفات شعبية قد تدفع أحدهم للذهاب إلى شاطئ بحر الأربعين للسباحة والاغتسال فيه وشرب القليل من مياهه الشديدة الملوحة.

وكان بحر الأربعين يشكل عند العطارين جزءاً من التشخيص لبعض الحالات التي قد لا يفهم أعراضها المبكرة أو يكون قد احتار بشأنها، ليحيل ذلك الغموض لمياه الأربعين وينصح المريض بالتبرك بشاطئه ليقدم للعطار السر الذي لم يستطيع الوصول إليه، وأحياناً تكون مياه بحر الأربعين مرحلة رئيسية من مراحل العلاج لبعض الأمراض التي يعرفها العطار.

وحتى الخرافات التي تتعلق بالعطارين كان لها في جدة القديمة التي لا يتجاوز مساحتها الكيلو الواحد خصوصية وارتباط بالمكان والظروف المحيطة بالمجتمع القديم، فكان كبار السن ينصحون أبناءهم بالسباحة في بحر الأربعين عند الشكوى من أي أعراض أو أوجاع عارضة لتذيب مياهه المالحة تلك الأعراض قبل أن تتزايد وتتضاعف، فلعل المرض والوجع يهرب عند ملامسة مياه الأربعين المالحة، وكان بحر الأربعين هو المتنفس الوحيد لسكان جدة القديمة حيث يطل عليه باب البنط الغربي.

وجاء في كتاب الجواهر المعدة في تاريخ جدة(١٥). أن سيدنا عثمان رضي الله عنه قد اغتسل في بحر الأربعين، عندما اختار جدة لتكون مدخلاً لمكة المكرمة عام ٢٥هـ. وتعلق الناس بعد ذلك بأسطورة مياه هذا البحر وأصبحوا يغتسلون فيه زاعمين بأنه يشفي الأمراض ويحل البركة لمن يشرب



بحر الأربعين

منه. ويقع بحر الأربعين في الوقت الحاضر أمام مبنى وزارة الخارجية.

ويقول صالح علي خضري وأحمد وأسعد تكروني أن بحر الأربعين كان متنفس سكان جدة، وكان الناس يعتقدون بأن مياهه تشفي بعض الأمراض، وخاصة الأمراض الجلدية والظاهرية أو الأمراض التي تصيب الشخص فجأة دون أعراض مسبقة.. والكثير كانوا يرتاحون بالسباحة فيه للاعتقاد ببركته، وكانت أعداد قليلة تأتي من خارج جدة للاغتسال والسباحة فيه طلباً للشفاء.

ويعتبر البسطاء حكمة بحر الأربعين والتي تدخل رسمياً ضمن وصفات العطار لغزاً من الألغاز الأسطورية لا يمكن لأحد أن يتوصل إلى خيوطها أو تفسير بركاتها مما يخرج العطارة من دائرة الطب إلى دائرة التخريف والدجل، ويؤكد الخصوصية التي تأخذ ملامحها من المكان والظروف المحيطة من جانب آخر.

والأمثلة كثيرة على الوصفات التي يتوسط تنفيذها حكمة الأربعين، ومنها وصفة صفاري المعدة فيشترط العطار بشكل يومي استخدام الوصفة المكونة من عرق الإنطراب والمحلب وحمص مجوري وبعد أن يسف المشتكي قليلاً من هذه الأصناف بعد دقها يذهب فوراً إلى بحر الأربعين ليغتسل بمياهه ويشرب قليلاً منه لتنفيذ كامل شروط الوصفة باللغز غير المفهوم حتى وقتنا الحاضر.

جمع حبات البرد

عند هطول الأمطار، وهذا نادراً ما يحصل في العام الواحد بمدينة جدة، كان العطارة يستعدون لذلك تمام الاستعداد بإرسال وتكليف

مساعديهم وصبيانهم لمهمة البحث والتنقيب المستمر طوال هطول الأمطار لجمع البرد المتساقط مع شدة الهطول والذي يحمل مع تساقطه سحر سماوي لابد بأن يحتفظ به ويقتنيه في وعاء مخصص لحفظ مياه برد الأمطار.. فيسعى كل عطار برفقة مساعديه ومعاونيه لجمع أكبر كمية ممكنة لاستخدامها مستقبلاً وحتى أن يكرم الله المدينة بأمطار قادمة يجمع بردها المتساقط كعلاج لالتهابات العين وآلامها، فينصح العطار كل شخص يشكو من أي مرض في عينه بشراء قطرات من مياه البرد التي يحتفظ بسرها فيغسل ويدعك عينه المصابة بهذا الماء الذي يعتبر خلاصة أمطار شديدة تنقل للعطارة سراً من أسرار قوتها كما يعتقد الناس.. وينصح المشتكي بعد غسل عينه المصابة بتكحيلها بالكحل الطبيعي مباشرة ليثبت فائدة البرد في العين المصابة وينصح بتكرار الوصفة لعدة أيام حتى تزول كافة الالتهابات العالقة بالعين.

ويسعى العطار عند كل هطول جديد لأمطار شديدة أن يضيف ما يستطيع جمعه من البرد إلى وعائه ليجدده بسحر أمطار جديدة وبسر ولغز أسطوري لا يقوى أحد على فهم أبعاده، ولا يستطيع أحد المشتكين بالتهابات العين التشكيك في فعالية الوصفة وصحتها في فترات تسيد العطار لهذه المهنة الإنسانية النبيلة.

مخ الأرنب لأسنان الأطفال

الطفل الذي يمر بمرحلة التسنين، كان العطار يجتهد بوصفة متعارف عليها قديماً تساهم في حماية الطفل من الأعراض المصاحبة لمرحلة التسنين من ارتفاع في درجة الحرارة والحمى ومحاولة لتجنيب الطفل

الرضيع للأوجاع وآلم تشقق اللثة وظهور الأسنان وتجنيب كذلك والدي الطفل الرضيع المتاعب والإرهاق والسهر نتيجة أنين وزنين وصياح صغيرهم الذي يمر بهذه الفترة الحساسة في حياته، والتي تنقله من مرحلة الرضاعة إلى مضغ الأكل وتذوق الأطعمة مع والديه.. فينصح العطار بوصفة مخ الأرنب لهذه المرحلة ويؤكد بأن فحس مخ الأرنب في فك الطفل بعد سلقه سوف يقي الطفل من الآلام والأوجاع ويقي الوالدين المتاعب والسهر إلى جانب طفلهم المتألم.

وغالباً ما ينصح العطار بذبح ستة أرانب وكسر رؤوسها واحدة تلو الأخرى واستخراج المخ منها وسلقه وفحس فك الطفل صباح كل يوم بالقليل من مخ الأرنب لفترة تسبق بشهرين تقريباً الفترة المعروفة لظهور الأسنان للأطفال، ويضيف العطار إلى مخ الأرنب وصفة المحلب الأبيض والسنانير لتدق ويدهن بها رأس وهامة الطفل لتهيئة الظهور السريع للأسنان.

الاحتماء بعود الشمس

ينصح العطار أي شخص هزيل البنية أو نحيل القامة تضطره الظروف للتعرض لأشعة الشمس بأن يحتمي بعود الشمس من ضربات الشمس المهلكة، ويوجه العطار بتناول القليل من عود الشمس قبل التعرض لأشعة الشمس لساعات طويلة لتحمي رأس الشخص من سقطات أشعة الشمس الحارقة والضاربة.

أما الشخص الذي يعاني من سخونة شديدة ومتقطعة فيلحق به العطار بعرق شجرة الخماش وذلك بربطه في ساعده الأيسر بإحكام،

ليضيفه كما يعتقد الناس إلى عروق جسده فيمنح ويدعم عرق الخماش عروق جسده المتهالكة بفعل السخونة الشديدة التي أصابت الجسم ويعين عروق الجسم المتهالكة لطرد السخونة وإبعادها.

المساويك لجري المسافات الطويلة

والذي يعاني من آلام ووخزات في ركبته أثناء المشي عبر مسافات طويلة والسير المتواصل، فيقدم له العطار عود الأراك أو المساويك الخضر ليدق ما بداخلها ويدهن بها ركب المشتكي، ويحذر العطار من إعطاء وصفة المساويك الخضر لغير الشباب القادرين على تحمل نتائجها، فهذه المساويك ستجعل ركب المشتكي تلتهب من شدة حرارتها وتجعل الشخص يركض من شدة الحرارة لمسافات طويلة بعد استخدام الوصفة فقد ترغمه حرارة المساويك الخضر على تجاوز حدود سور جدة القديم لمواصلة الركض والجري من شدة الحرارة وتذهب بتلك الآلام بعد هذه التجربة التي تمنح مستقبلاً المقدرة على المشي إلى مسافات طويلة وتقهر المسافات القصيرة التي كانت ترسم حدود أقدام المشتكي.

وكذلك الحال في حالات السخونة فينصح العطار بحرق شوك القنفد واستخدامه كبخور يزيل السخونة من الجسد.. وينصح بالانتظار أمام دخان شوك القنفد لفترة دقائق حتى يتفصد جبين المصاب عرقاً شديداً تحت لحاف يكتم أنفاسه فيه بدخان القنفد المتصاعد بحرارة.

إزالة الخجل والحرج

أما الشخص الذي يعاني من الخجل والحرج الشديد، مما يجعل قلبه يرتجف بسرعة وشدة عند المواقف المرعبة والمخيفة والمحرجة، وما



مربى السنانير

لمنح الثقة وإزالة الخجل

قد يسببه ذلك للشخص من أزمة نفسية نتيجة ارتجاف وخفقان قلبه السريع عند أبسط المواقف ونتيجة عدم مقدرته على تجاوز تلك المواقف، خاصة وإن الناس كانوا في ذلك الزمان يضربون المثل بصاحب القلب القوي الجامد الذي لا يهتز عند أصعب المواقف مهما كانت محرجة أو مخيفة ومرعبة.

ومن الأمور التي كان الناس يصدقونها عن العطار، مقدرته على علاج القلوب الضعيفة التي ترتعب وترتجف عند مواجهة أي موقف شديد أو مخيف، ويعتقد البعض بأن وصفة مربى السنانير تقلب معادلة القلب الخواف وتجعله بعد استخدام الوصفة قلباً لا يهتز أو يرتعب عند أي موقف يواجهه.

وتزيل الوصفة الحرج الشديد لمستخدمها بعد أن كان الشخص يتصبب عرقاً من شدة رجفان قلبه السريع، وتحل مربى السنانير بماء الكادي ويشرب منها الشخص لعدة أيام، وهذه الوصفة ربما تحقق تأثيراً إيجابياً لدى البعض. فيكتسبون الثقة بأنفسهم بعد تناول وصفة مربى السنانير ويحاولون مواجهة المواقف الشديدة بصلابة وقوة نتيجة الاعتقاد بفعالية هذه الوصفة.

استبدال الحماقة بالحكمة

للشخص الحمقي أو العصبي أو «الزعول» الذي يكون رد فعله سريعاً وشديد الهوج والغضب فللعطار أيضاً وصفة تخفف نفسياً من حدة انفعالاته وحالته النفسية التي تجعله يفقد علاقاته نتيجة الحماقة والتصرفات السريعة العرجاء.. ويصف العطار لهذه الحالة وصفة «المروق» وتقصد تسميتها بأنها تروق الشخص وتخفف من عصبيته وحماقته، وهي مكونة من العناب والخرنوب وسكر النبات والهيل فتفور وتشرب قبل النوم لفترة غير محددة حتى يثق الشخص ويتأكد بأن سلوكه قد تعدل وتغير إلى الأحسن.



جوزة الطيب

توصف لصاحب التفكير المضطرب

ولعل الاعتقاد بهذه الوصفة كان سبباً يجعل الشخص يراجع أخطاءه ويتذكرها عند المواقف اليومية العارضة بالتدرج وبالتعود على مقاومة أخطاء النفس وزلاتها إذا كانت نية الشخص صادقة وقوية ليستبدل بواسطة هذه الوصفة الحماقة بالحكمة والعصبية بالهدوء والتأني.

الشخص الذي يصاب بداء التفكير العميق ويقع أسيراً لهمومه

الشخصية ومتاعبه، ولا يستطيع الخروج من دائرة التفكير والهموم التي عزل فيها أفكاره وطموحاته، ويذهب إلى الشيخ العطار يطلبه الخلاص من التفكير المضطرب والمتواصل للهموم المتلاحقة التي تطرد النوم عن عينيه فيصف له شيخه العطار حبة جوزة وزعفران، ويقسم له الجوزة إلى أربعة أقسام متساوية الحجم، على أن يفور كل يوم قبل ساعة نومه قسماً من الجوزة مع الزعفران والشاي ويشرب منها لينام باطمئنان وينسى أفكاره وهمومه الملاحقة، ويظل يستخدم الوصفة لفترة أربعة أيام حتى تذهب عنه أفكاره وهمومه السوداء.. وإذا لم يقتنع وعاود سؤال العطار عن وصفة تأتي بالنوم إلى عينيه يقدم له نفس الوصفة لفترات قادمة بعد أن يتأكد العطار بأن مريضه مصاب بالهمّ والقلق، فيبيعه حتى يقتنع من جانبه، ويستفيد العطار في الجانب الآخر ببيع وصفاته لهذه الفئة لأسابيع أو لأشهر عديدة !

القفل لبركة المياه

للحفاظ على نظافة الماء وتعقيمه وزيادة بركته في مجتمع يعيش أزمة المياه العذبة التي تشكل مهمة الحصول عليها هم وهاجس القدماء في



بخور القفل
يبارك كميات المياه بحسب الاعتقاد القديم

جدة القديمة، فالمدينة الملامسة شاطئ البحر يشكو سكانها من ندرة المياه العذبة، ويتكبد الفقير للحصول عليها شقاء ومحصول يومه بشراء «زفة» المياه من الكنداسة بقرش في زمن البيع والشراء بالقروش المعدودة.. فيحفظ الناس قديماً المياه داخل الأزيار والشربات بعد تبخيرها «بالقفل» بفتح القاف والفاء وتسكين اللام(١٦)، فهذا البخور بالإضافة إلى أنه يعطي الماء نكهة زكية فهو يحفظ الماء ويعقمه، ويقول محمود أبو زنادة بأن الناس كانوا يعتقدون ببركة هذا البخور، وأنه يبارك في قطرات المياه إلتي جمعت في هذه المدينة الصغيرة هموم الفقراء بأحلام الأغنياء في أزمة أعاقتها من التوسع والامتداد والحركة لفترات طويلة من تاريخها.

ومن الغريب أن تدعو وصفة من وصفات العطار أحد المرضى لتدخين الشيشة حتى إن كان الشخص لا يدخن الشيشة في الأساس، وإنما لمجرد شكوى الشخص من «حككان» شديد في صدره، فيعجن له العطار كلاً من السكرانه وهو ورق نباتي وقليلاً من التنباك لوضعها على رأس الشيشة فيدخن منها المشتكي لدقائق معدودة، ويهيج تدخين هذه الوصفة باستخدام الشيشة صدر المشتكي ويجد نفسه في حالة استفراغ مستمر لإخراج الأوساخ والترسبات العالقة في صدره والتي سببت له هذه الحساسية !

ويعتقد الناس بأن البرد الشديد القارس سيفقد مع الأيام قوة الشخص وسيعصر آخر قطرة من عافية الجسم وسيذيب تماسكه وترابطه وصحته، ولذلك يستعد العطار بوصفة تحمي الجسم من فقدان قوته خلال أيام البرد ويشد من ترابط فقراته وتماسك أعضائه وتتكون

الوصفة من المغاط والسحلب الذي يخلط مع الحليب الدافئ ويضاف إليه الجنزبيل وقليل من الهيل.



أحمدو أسعد تكروني



محمود أبو زنادة

الوسوسة بعين العفريت

كان الناس - قديماً - يستمعون إلى بعض أعشاب ووصفات العطار غير المألوفة، والتي تدعو مستمعيها إلى حالة من التأمل لعلاقة قد تكون مثيرة تربط العطار بعالم آخر خفي وممزوجة بشعور قد يكون فيه شيء من الخوف والرعب.. فيبتعدون عن النقاش فيها أو الخوض في تفاصيل استخدامها، خشية الإصابة بما أصاب من أرغمته الظروف إلى استخدامها، ولا يستطيعون سؤال شيخهم عنها أو الإسهاب معه في أصل تسميتها، لظن قديم واعتقاد يكاد يقترب من اليقين للبعض بأن العطار قد انتزع هذه الوصفات أو استرقها خلسة بأساليب تترجم أسباب تسميتها، وهو لذلك كما يعتقد البعض في المجتمع القديم يستخدمها لطرد العين والحسد ومقاومة أعمال السحر والمس وغيرها من الأمور التي تجعل موقع هذه الوصفات سرياً في محل العطار، حتى لا يقبل عليها إلا القلة التي تكون غالباً مصابة بالوهم والقلق والخوف من الإصابة بالعين وحسد الناس!

يتصور البعض في المجتمع القديم أن العطار أستطاع بمقدرته الأسطورية أن ينتزع قليلاً من لحم الجان ويحتفظ به في محله ويكون جزءاً من أعشابه الموجودة في خرجه السري.. وكما يسرد البعض في الحكايات القديمة أن العطار قد استطاع في إحدى الأيام أن يسقط أحد العفاريت. وينتزع منه إحدى عينيه ليطرد بها أعين البشر الحاسدة! كما أنه استطاع بهذه المقدرة الأسطورية أن يحصل على ما يسمى قديماً بالحبر السلطاني لنفس الغرض، وغيرها من التصورات والمعتقدات التي تعكس جانباً من العطارة في حياة المجتمعات القديمة بشكل عام والتي تربط وصفات العطار بالخرافة والدجل.

وكان ذلك التفكير يصور جزءاً من علاقة الناس بالعطار، فهي علاقة يكسوها الاحترام والتقدير لشخصيته التي تعرف أسرار هذه الألغاز القديمة، مما يجعل بعض البسطاء يلتفون حوله ويسيرون خلفه ليعدهم بجمع مثل هذه الوصفات التي تحميهم من الشرور التي يوسوسون خوفاً منها، حتى لا تصيب العين الحاسدة ممتلكاتهم وأموالهم وأغراضهم النفيسة.



عين العفريت

تميط اللثام عن غموض علاقات العطار بأعشابه

والتفاف الناس وقربهم من بعضهم البعض في المناسبات المستمرة التي تجمعهم أو في زحمة الكنداسة التي يجتمع الناس أمام طوابيرها للحصول على زفة المياه العذبة أو في مركاز العمدة أو المقهى، لا تجعل بين الناس أسراراً وأموراً خافية.. فيظهر الشخص وسوسته وقلقه من

الإصابة بالعين الحاسدة، ممن يتناقلون سيرته في هذه الأماكن خلال اللقاءات اليومية ويشيرون إلى نجاحه وازدهار أرباحه وتجارته، وقد يكون في نفوسهم شيء من الحسد لنجاحه وطموحه المتواصل، فتسوقه وسوسته وقلقه لمحل العطار يطلب منه أي وصفة تبطل هذا الحسد وتتصدى لعينه التي لا تذكر الحمد عند تناقل سيرته وتفوقه بأفكار العطار وبركاته، فيرمي له العطار قليلاً من عين العفريت أو لحم الجان أو شوك القنفذ أو قرن الخرتيت.

ويؤكد العطارة الذين التقينا بهم بأن الوصفات من هذا النوع كان العطار يجد نفسه مجبراً في كثير من الأحيان على جمعها وبيعها، لأن الكثير من الناس كانوا يعتقدون بها، بالإضافة إلى اعتقاد الناس بأسطورة العطار ومقدرته على إبعاد العين والحسد بحجة بيعه لها ومعرفته بوصفاتها وتراكيبها.. إلى حد يجعل بعض البسطاء يستخدمون باستمرار بخور «النقض» أو وصفة الحبر السلطاني، وعند شكوى شخص ما بأعراض مرضية مفاجئة، وإن كانت طبيعية أو شعوره بالحسد ينصحه البعض باستخدام مثل هذه الوصفات، وزيارة العطار ويكون هنا دور هذه الوصفات في إقناع الشخص بمقاومتها للعين الحاسدة رغم أنها خرافة تخالف عقيدة المجتمع.

وأحياناً يصادف العطار شخصاً يركض لمحله، يسأله العلاج السريع والفوري بأي ثمن يمكن من الحصول عليه ليكافح الصداع الذي شعر به فجأة بعد زيارة فلان لبيته الجديد أو علان لموقع عمله، بعد الصفقة المربحة التي حققها مما أصابه بالحسد ويتوسل إليه منحه وصفة توقف مفعول العين الحاسدة عن الإصابة بأمراض أخرى أكثر خطورة، ويخرج

له العطار من خرجه السري بعض الأصناف لتزيح عن الشخص شكواه ووسوسته التي قد ارتفعت حساسيتها لمجرد شعور الشخص بصداع طفيف. ويبعد عنه تلك الأفكار التي تطارده، فيذهب مطمئناً على صحته التي قد لحق بها الأذى، فإما يعطيه من عين العفريت أو لحم الجان أو قرن الخرتيت أو تين الفيل بعد أن يؤكد له بأن العين الحاسدة قد رحلت لحال سبيلها!

مكافحة العين بالنقض

والبعض يحتفظون بقليل من عين العفريت في جيوبهم دون معرفة أحد بذلك، حتى لا تفسد مقاومتها ومكافحتها وإبطالها للحسد عند



بخور النقض

لا غنى عنه في حياة الموهومين والموسوسين

زيارة أحد لمنزله، أو عند إقامة مناسبة احتفالية تجمع أفراد الحي، ويحصل من العطار على وصفة بخور يبخر بها بيته كاملاً في يوم إقامة المناسبة تسمى بـ «النقض» حتى تحفظ البيت وأهله من أي زائر قد تنفلت عينه يميناً أو شمالاً لتصيب البيت بسوء.. وتتكون وصفة البخور من شبة الفؤاد وعين العفريت وظفر العفريت وتين الفيل وقرن الخرتيت والكبريت الأحمر وحب العروس والفاسوخ والفارعة والكلخ والقطران الناشف، فهي تنقض الشرور كما تبين التسمية.. ومن هذه الخرافات وصفة الهضيمة وهي مجموعة قشور خشبية هشة تقدم كبخور لمثل هذه الحالات.. فيشعر صاحب البيت من الموسوسين بالراحة النفسية ويدعو الجميع بعد أن يكون قد أرضى وسوسته وقلقه بهذه الوصفة التي يعتقد بأنها ستبعده تلك الليلة من أذى الحاسدين.

وإذا أُصيب شخص ما بخسائر كبيرة في تجارته، أو قَل الإقبال على سلعة مما أصاب تجارته بالكساد والركود وشعر بأن نقوده قد نفدت منها البركة، فيذهب إلى المشعوذ، ليعالج الحسد الذي أصاب تجارته بالكساد وأمواله بالنفاد مبعداً خيوط الحسد التي تشابكت فأصابت تجارته الرائجة والمنتشرة بالركود والانحسار والتقلص، فيكتب له وصفته التي يتم جمع أشتاتها في محل العطار بالنسب المطلوبة والمحددة وذلك لمعرفته المسبقة بما يطلبه المشعوذ من وصفات تتعلق بجوانب يعلم بها العطار جيداً، ويكون للعطار علاقة رئيسية بوصفات المشعوذ وفي كثير من الأحيان يرسل المشعوذ المشتكي إلى عطار معين بتنسيق مسبق بين الجانبين.

الكتابة بالحبر السلطاني

من هذه الوصفات التي تجمع المشعوذ بالعطار وصفة الحبر السلطاني المكونة من الحبر السلطاني والزعفران المغربي ودم الغزال والمسك الأصلي، تحل جميع هذه الأصناف بماء الورد، ويكتب المشعوذ بخط يده بواسطة ريشة مخصصة لذلك بعض تخاريفه من رموز وكتابات وجمل على أكثر من ورقة حسب طلب المشتكي الذي يتوهم بفعالية ونجاح هذه المشعوذات التي لم يتنزل بها من سلطان.. فغالباً ما يكتب ثلاثة أوراق، واحدة يخفيها في جيبه السري، وأخرى يخفيها في منزله والثالثة في موقع عمله، لتحقق مفعولها في إقناع المصاب بالشفاء من السحر أو الحسد المعمول له قصداً لتحطيم حياته، كما يظن من الخسارة التي لازمت تجارته.



الحبر السلطاني

الكتابة بالحبر السلطاني خرافة قديمة

والبعض يصل بهم الاعتقاد إلى درجة تدفعهم إلى شرب الحبر السلطاني لتظل أحباره راكدة وعائمة في دمائهم فيبقى مفعول الوصفة في جسده إلى الأبد كما يذهب به اعتقاده.

العطار عبد الله باقيص يقول في هذا الجانب: «إن اتصال المشعوذ بالعطار كان محدوداً ويخدم علاقة المصلحة التي تربط كل طرف، فالعطار مثلاً لا يعلم إلا القليل من وصفات المشعوذ، ويخفي المشعوذ أهم وصفاته التي يحيطها بالسرية ويطلب من العطار جمع موادها فقط عندما يكتب للمشتكي الأعشاب المطلوب جلبها من أحد العطارين دون أن يترك فرصة لتعريف العطار طرق استخدام هذه الوصفات، خشية أن يحصل عليها الناس من العطار مباشرة ويفقد بالتالي دوره ووصفاته ويهجره الناس، فالمنافسة بين العطار والمشعوذ موجودة رغم التعاون والاتصال المستمر».

كما يحمل خُرج العطار السري وصفات مماثلة تستخدم لحالات مقاربة حسب رؤية العطار وإرشاده، فهي تجمع تفاح الجان ودم الأخوين والفطيمون والزعفران المغربي، إذا لم تفلح الوصفات السابقة لدفع الوهم والوسوسة عند الشخص، أو يجمع له وصفة السبعة السنانير والسبع الخرز التي تضاف إليها وصلة حلتيتة ووصلة مرة ووصلة صبرة وشبة الفؤاد وعين وظفر العفريت.. ليحملها معه في كل موقع يقصده ويتجه إليه لعله يقتنع بذهاب الوهم الذي يطارده ويحبس عقله وتفكيره.

وفي الحالات القليلة التي كان المشعوذ ينزعج فيها من كثرة تردد شخص ما لم يقتنع بفاعلية وصفاته طالباً المزيد منها، تكون هناك رسالة متعارفة فيما بينهما يكتبها المشعوذ للعطار، تعرفه بأن حامل

الرسالة قد أرهقه من كثرة السؤال والطلب على الوصفات دون أن تحقق أي جدوى لحالته، وعلى العطار بأن يعطيه وصفة ما، فلا ترجع حامل الرسالة المزعج، المصاب بالهوس إلى المشعوذ مرةً أخرى، وغالباً ما يكتب في مجال العطارة كشحم الناموس وعرق صميل وغيرها.

العزل الانفرادي لحالات المس

في حالات «المس» التي تظهر أعراضها نادراً على أحد السكان فيأمر العطار أهل الشخص المصاب بوصفة قديمة تبدأ بالعزل التام للشخص المصاب في غرفة منزوية في المنزل لا ترى ضوء الشمس، لفترة أربعين يوماً، مع عدم السماح لأي شخص مهما كان مقرباً للمصاب للاقتراب من موقع غرفته أو محاولة رؤيته، قريباً كان أو صديقاً طوال الفترة المحددة، ولا يسمح إلا لوالدي المصاب بالدخول إلى تلك الغرفة



الفارعه



الشذاب

الفارعة والشذاب تدخلان في مكونات الوصفات الغامضة

المعزولة، ويشترط العطار بأن لا يعرف أحد الطعام والشراب المقدم له، حتى لا تفسد الوصفة.. وطوال الأربعين يوماً يقوم والدا المصاب بتبخيره بوصفة بخور ينصح بها العطار مكونة من اللبان الشحري والمر والصرافة والشذاب والحبة السوداء والفاسوخ والفارعة والكلخ، وبعد أن تنتهي فترة الأربعين يوماً يوصي العطار والدي المصاب بإكمال المرحلة الثانية من الوصفة على الفور لدى المشعوذ لينفذ وصفة الحبر السلطاني المشار إلى طريقة استخدامها والمواد المستخدمة معها سابقاً.

وقد يوجه العطار في بداية حالات «المس» بتجربة وصفة لسان العصفور كحل أولي، ينصح بها غالباً في حالة توهم الأهل ووسوستهم بإصابة ابنهم بذلك، ويضيف إلى لسان العصفور وصفات مثل عود القسط وعود القرح وعرق الإيجر.

إزاحة الحسد بورق النيم

أو ينصح بوصفة ورق «النيم» وهي شجرة منتشرة في مدينة جدة يتبارك بها الناس في مثل هذه الحالات.. فيقطفون كمية من ورق شجرة النيم يملأ وعاء كبيراً ثم يصب عليه ماء.. ويترك الوعاء لمدة يوم كامل وينصح العطار المصاب بالاغتسال داخل الوعاء في صباح اليوم التالي، بعد ذلك تسكب مياه ورق النيم على مفارق ثلاثة شوارع معروفة داخل جدة القديمة حتى تنتشر مياه النيم التي تحمل معها الإصابة.. فلعل البعض كانوا يعتقدون بأن صب المياه في الشوارع، ليدوس عليها المارة وقد يكون بينهم صاحب العين الحاقدة التي أصابت بالأذى فيفسد بذلك أذاه ويبطل معها حسده للناس!! ويقول محمود أبو زنادة بأن هذه الوصفة

يتذكرها جيداً لأن والديه قد جربا معه هذه الوصفة أخذاً بنصيحة العطار. وأن نتائجها معه كانت مثمرة ولو في طرد شكوك وخوف الأسرة على صغيرهم من بلاء العين الحاسدة، وعلى حد تأكيده فهو لم يكن مصاباً إلا بالوهم الذي دفعه لاستخدام هذه الوصفة غير الصحيحة.



شجرة النيم

أوراق شجرة النيم المعروفة قديما بجدة

طرد الجان برائحة الثوم

وهناك حالات كانت تعرف بين الناس بلمخة الجان، ويعتقد الناس قديماً بأن تصيب شخصاً عندما يحاول عن غير قصد استفزاز الجان أو الاصطدام به أثناء سيره وإيذائه أو مسابقته في الحصول على غرض، كطعام أو غيره، أو دهسه بدون قصد وبدون رؤيته بطبيعة الحال، عندها

يحاول الجان الانتقام بالضرب والإيذاء، لغضبه من تصرف الشخص وبمجرد الاعتقاد بذلك يذهب الشخص إلى العطار وعرض عليه شكواه وهوسه وقد يظهر له تورم أو احمرار في جسده لأي سبب طبيعي، فيخشى بأن يكون ذلك انتقاماً من الجان وربما يحاول الجان تكرار الاعتداء إذا رآه لاحقاً.. من هنا ينصح العطار ذلك الشخص مقاومة الجان برائحة الثوم حتى لا يعاود الاعتداء عليه، وكان يقال بأن الثوم هو شرّ الجان، لأن الجان يكره الروائح الكريهة ويهرب منها، فينام ليلته مرتاح البال برائحة الثوم بعدما يؤكد له العطار بأن الجان لن يقترب منه إذا شم رائحته إلى الأبد، وتكون الوصفة بدق الثوم وخلطه مع قليل من الحلتيتة ذات الرائحة القبيحة أو يدهن جسده كاملاً بالبعيثران بعد خلطه بزيت السمسم أو النارجيل أو الزيتون ويتبخر بعود الصليب والحبة السوداء وبخور " النقض" بصورة يومية حتى ترتاح وتهدأ نفسيته تماماً من ذلك الاعتقاد المرعب !

وبذلك تتضح العلاقة بين المشعوذ والعطار، كجانب هام عرفت به العطارة في تاريخها في كل موقع اشتهرت فيه. فالعطار والمشعوذ يشتركان في علاج حالات الوسوسة والوهم والهوس في كثير من الحالات التي تحرك أرفف هذه الأصناف التي تظل راكدة لفترات طويلة وهي معتقدات مخالفة للعقيدة. فالعطار يوجه زبائنه إلى عميله المشعوذ لمتابعة حالاته، والمشعوذ يسلط زبائنه للحصول على مواد وصفاته من رفيقه العطار الذي يشكل معه علاقة عمل تجارية تحقق لهما الانتشار والمتاجرة من جانب.. وتحقق لأصحاب الوسوسة والهوس إرضاء إلحاحهم وهوسهم من جانب آخر !!

حكمة الشيخ العطار

مهما تطور الطب الحديث وتشعبت تخصصاته وتوسعت امكانياته.. يظل العطار متواجداً خلف ستار الأطباء، يراقب كل حالة قد يفشل فيها الطبيب المتخصص أو يتعثر في علاجها بسرعة ويكون ذلك الفشل أو التعثر هو المنفذ الوحيد الذي يفتح الأمل أمام العطار ليقدم ما لديه ويقول كلمته ويحكم رأيه، في الوقت الذي يكون فيه المريض قد ملّ من تجارب الأطباء وتشخيصاتهم وأدويتهم حتى وصل إلى مرحلة اليأس وهو على استعداد لخوض أي تجربة قد يكون لها أي احتمال يوصل إلى الشفاء أو تحمل بصيصاً من الأمل المفقود.

وذلك بدون مبالغة أو زيادة أو نقصان هو الأمل الوحيد أمام العطار الذي سيمنحه مفتاح العودة إلى الوراء حينما كان العطار طبيب البلدة الأول، لذلك يكون العطار شغوفاً عند انتظار هذه الحالات ليبدي قدراته في مقارعة الطب الحديث الذي فشل مسبقاً عن تقديم شيء يذكر للحالة البائسة.

ورغم قلة هذه الحالات وندرتها إلا أنها تُبقي العطار على قيد المنافسة وبالتالي على قيد الحياة خاصة وأنه يعالج هذه الحالات بحكمة «السفوف» التي يحفظ لها مئات الوصفات الشعبية المختلفة بعيداً عن العمليات الجراحية التي ينصح بها الأطباء كآخر حلولهم في علاجها، فمثلاً يقف العطار «بمخ الأرنب» عند حالات تسنين الأطفال التي تسبب أعراض السخونة لهم نتيجة تشقق اللثة وظهور الأسنان وتلحق المتاعب والسهر للآباء نتيجة أنين وصياح وبكاء الرضيع ليلاً وصباحاً دون أن يقدم الطب الحديث أي حلول تخفف الآلام عن الطفل والخلاص لوالديه من العناء الذي يدوم لأسابيع.. كذلك ينصح العطار بعنب الثعلب في حالة التهاب



حوار مع المعمرين عن استخدام الأعشاب

اللوزتين أو وصفة العطار باستخدام زيت اللوز الحلو لأصحاب الأنوف الحساسة أو بقطرات زيت اللوز المر لمن يشتكي من أوجاع في أذنيه أو الجنزبيل للصداع أو عود الصليب للصرع أو لسان الثور لارتفاع درجة الحرارة وغيرها من الوصفات المختلفة التي يستند إليها العطار الخبير في مثل هذه الحالات التي تتطلب التدخل السريع والعاجل لكسب موقف جديد في هذه المنافسة التي لا تسير لصالح العطارة في كل الأحوال.

كل ذلك في ظل غياب دراسات تؤكد صحة نظريات العطارين الذين يورثون أبنائهم عشق العطارة حيث تظل وصفاتهم موجودة وتحت الطلب العاجل لمن يضطر للرجوع إليها بعد أن بدأ يضرب على كفيه من علاجات الأطباء التي لم تلامس آلامه وأوجاعه وحالته المرضية.. فيمسك بآخر أمل بأيدي العطارة ويفتح لهم طريقاً جديداً للعودة إلى تاريخهم القديم.

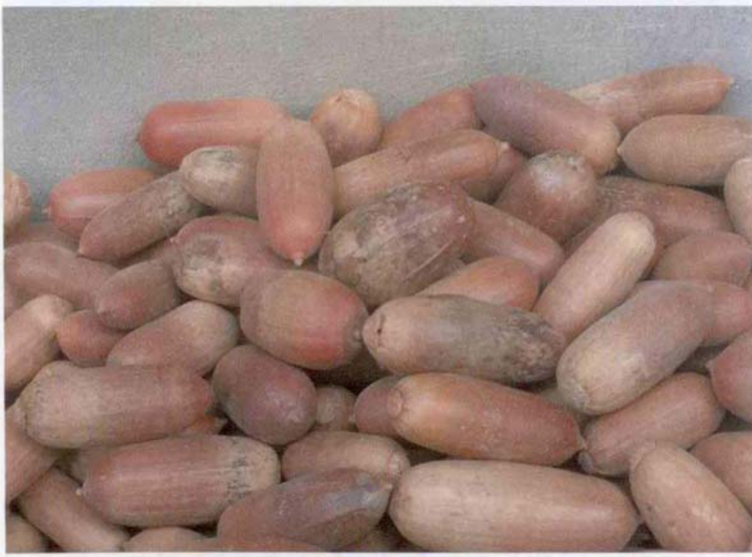
وكان الناس بصفة عامة يعرفون استخدام بعض الأعشاب لبعض الحالات العامة ويحتفظون بها في منازلهم كعلاج دون الرجوع للعطار كاليانسون وشربة السنمكي أو السنا والكراوية والنانخا وسكر النبات والشيح والحبة السوداء سواء بالسفوف أو الغلي والتفوير، وكان من المعتاد استخدام شربة السنمكي في كل بيت كمادة مسهلة ويصرون على تناوله مرة في كل شهر ويعتبرونه مُطهراً للأمعاء، ويحلونه بالسكر للأطفال في أكواب كبيرة(١٧).

ونستعرض أبرز الوصفات الشعبية التي يكثر استخدامها بين العطارة الأوائل في زمن الشلبي وباديب وأبو الحمايل وغيرهم..

الذي يشكو من «إمساك» يصف له العطار السنمكي والزبيب الهندي

واليانسون وزهرة البابونج والهليلج، لتسف بعد طحنها.

أما «الإسهال» يصف له الكتبري لتدق مع اللبن الحامض مع الابتعاد عن الأكلات الدسمة أو «الزفر»، أو «غبار القطنة» أو «بذر القطنة» مع اللبن الحامض.. وكذلك للمغص ينصح باليانسون والنانخا والهيل الحبشي والكراوية أو بخلط اللبن الحامض مع اللوية أو اللية والكتبري ولحرارة المعدة ينصح بحب البلوط مع النبات الشيناوي والترنجبيل أو التباشير بعد تنقيته وتفويره وشربه.



حب البلوط

لحرارة المعدة

ولأمراض المعدة كان العطار يصف شربة السنا وهي وصفة مكونة من أعشاب متعددة منها العناب والنبات والخرنوب والزبيب الهندي والكزبرة والورد والحمر والهليلج والتين وزهرة النوفل وزهرة الختمي وزهرة الضرم وزهرة البنفسج وغيرها فتغلى ويشرب منه المشتكي.

مقاومة الحرارة بلسان الثور

ارتفاع درجة الحرارة كان العطار يلاحقها بالخرنوب والزبيب والكزبرة الناشفة والورد والعناب وزهرة لسان الثور وزهرة الختمي وزهرة النوفل، لتغلى ويشرب منها المشتكي.

التهاب الأذن يصف لها زيت اللوز المر. أو تحرق البصلة ويُقطر القليل من مائها على أذن المصاب.. أو يصف العطار «الزرمبة» وهي خضراء ويقطر من مائها قليلاً بعد تحمئتها وعصرها على الأذن.. أو يقطف ثمرة شجرة القطن وهي في بداية نموها وظهورها وتعصر ويُقطر ماؤها على الأذن.



زهرة لسان الثور

يهدئ من فورة حرارة الجسد

والتهاب وحساسية الأنف فله زيت اللوز الحلو وإذا صاحبه انسداد فله الكندس ليدق ويستنشق منه المشتكي.

التهاب الغدد فلها عنب الثعلب والكنزيرة والفلفل الأسود ورماد الفحم «القرض» ليدق ويخلط مع زيت السمسم.. ويشكل باللبخة طبقة على رقبة المصاب.

الخل لإذابة الصداع :

أما الصداع أو الشقيقة ينصح لها العطار الجنزبيل بعد خلطه مع الخل حتى تشكل من لبخته حلقة على الرأس من الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى.. أو يدق ورق السدر ويخبط مع الحناء ويدهن بها هامة الرأس.. أو بعضهم يقوم بدق المحلب والقرنفل والريحان والعفص ويلبخ بها منطقة الرأس.

وتستعمل أيضاً المستكة في حالات الصداع بعد تسخينها وتلصق بواسطة قطعة مستديرة على جانبي الرأس.. أو تسخن المستكة مع السمن البلدي ويقطر على الأنف لعدة مرات.

عرق السوس لعلاج الزكام

والنزلة الشعبية يقدم لها العطار زهرة البنفسج وزهرة الختمي وزهرة النوفل وعرق السوس وورق الجوافة والعناب لتدق ويفور ويشرب منه المشتكي. و«الزكام» يكافحه العطار بزهرة الختمي وزهرة النوفل وزهرة البابونج وعرق السوس وقليل من سكر النبات والجنزبيل، ليغليها المشتكي ويشرب منها. والكحة يقاومها بعود الصليب وزهرة لسان الثور وزهرة البنفسج والشيح.



عرق السوس

يستخدم لأعراض الزكام

والتهاب المفاصل فينصح العطار بعود القسط للتخلص منها مع التربل وسكر النبات.

حصر البول يصف له الشمر واللبان الشحري والبقدونس الأخضر يغليها المشتكي ويشرب منها.

أما التهابات العين فيوجه العطار بسرعة غسل العين ماء البَرد.. أو تُكحل العين بماء البصلة بعد غرس مرود الكحل في قلبها.. وبعدها يتم تكحيل العين بالكحل الطبيعي.. وإذا ظهرت حبة أو كيس دهني داخل العين فيزيلها العطار بواسطة حب الرشاد أو «التفة»، كما تستخدم التفة بعد خلطها مع صفار البيض للدهان في حالات الكسر أو الفك أو الشُّعر لأي مفصل من مفاصل الجسم. وإذا واجه حالة إصابة بحصبة أو جدري فيقوم بحرق بصلة على نار هادئة، ثم يغرس مرود الكحل في قلب البصلة ويُكحل بها مريضه ثم يكرر العملية بالكحل الطبيعي، وذلك لتعقيم العين من هذه الأمراض.

دواء لندني للجروح العميقة

في حالة الجروح العميقة والبالغة فكان هناك دواء «لندني» شهير يعرف بـ «الأدفـور» يجلبه تجار العطارة من الخـارج.. ويرش العطار المصاب به باستخدام ريشة خاصة بذلك.. ولكن مشكلة استخدام «الأدفور» أن له رائحة كريهة شديدة العفنة والانتشار تجعل الجميع ينفر من المصاب، والذي يستخدم هذه الوصفة التي ينصح بها العطار عليه الانعزال في غرفة منفردة منعاً من تسرب وانتشار رائحته الكريهة التي ستجبر الجميع على تحاشي الجلوس معه والاقتراب منه.

المرتك الذهبي لإيقاف الصلع

أما الحساسية أو تساقط الشعر فيصف العطار «الكرياته» أو «قصب



المرتك الذهبي

يوقف حالة المد في ثعلبة الرأس

الذريرة» أو وصفة المروخ المكونة من الورد الحبشي والحناء والحبة السوداء والهرد الناعم والليمون بن زهير وزيت الزيتون، ويدهن المشتكي بهذه الوصفة المنطقة المصابة بالحساسية.. وفي حالة ظهور ثعلبة الرأس أو «الجوبة» وهو نوع من الصلع فينصح العطار بالخفان الأبيض مع زيت الزيتون والليمون بن زهير والمرتك الذهبي بعد غليه ودهن به موقع ظهور الثعلبة.. وهناك وصفة مماثلة لحالات الحساسية مكونة من العناب و «سكر قند» أو السكر والأحمر والخرنوب والتين وزهرة البابونج وزهرة البنفسج لتفور ويشرب منها المشتكي.

الشحري لخشخشة الصدر

أما حساسية الصدر أو «خشخشة الصدر» فلها اللبان الشحري



اللبان الشحري

والشمر والشيح وعود القسط والحبة السوداء لتفور ويشرب منها المشتكي.. وينصح العطارة الشخص المصاب بخشخشة الصدر بمغادرة مدينة جدة لفترة أيام بسيطة إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة حتى يستعيد صدر المصاب وضعه الطبيعي إذا كان هواء مدينته قد سبب له تلك الحساسية. و«الزغطة» أو «الفهيقة» فينصح لها بالنانخا.

وينصح العطار خشب الكينة ولعبة المرة والنبات الشيناوي والزبيب الأسود في حالة ضعف الجسم.

وحالة الغثيان فيقاومها بالنانخا والقرفة لتدق وتفور.

ويكافح العطار قديماً قلة النوم والتوتر والقلق بتفوير الخشخاش، وشرب القليل منه بعد تصفيته.

وحالات سوء الهضم ينصح لها العطار بورق الحرمل بعد تفويره.

والتهاب الكلى يصف لها بذر الخلة والبقدونس والشمر لتدق وتفور ويشرب منها المشتكي.

وألام الأسنان يصف لها زهرة القرض والصرافة والقرنفل لتفور ثم يتمضمض منها المشتكي.

وآلام الظهر فيصف لها الحلبة حيث يصب عليها ماء فاتر ويشرب منها المشتكي.. أو ينصح بـ «لك الظهور» مع المُغاط والسحلب والموصلي والكتيرة لتدق تماماً وتفور ويشرب منها المصاب.

وعند ظهور «دمامل» في الجسم فيأتي العطار بـ «الترمندي» فيفور ويدهن به المنطقة المصابة بوجود الدمامل.

ويستخدم عود القسط للأرياح.. ولحرارة المعدة يصف العطار بذر البالنج مع ثمرة الفؤاد وماء الكادي.

وفي حالة وجود ديدان في المعدة يصف العطار لطردها الحلتيتة مع لعبة المرة والنبات الشيناوي.

لحرارة الجسم ينصح العطار بالعناب والخرنوب والتين والكتيرة والورد والمشمش الناشف لتدق وتغلى ويشرب منها.

الزهور السبعة لفوران الدم

لإزالة الأرياح والغازات ينصح العطار بـ «شيع البقرة» البارد والحار أو بتفوير خشب الروند مع خشب الصين وعرق الانطراب وعرق الانجبار.

وفي حالة «فوران الدم» أو «الحككان» يصف العطار بزهرة لسان الثور وزهرة الورد وزهرة الختمي وزهرة البابونج وزهرة النوفل وزهرة الضرم وزهرة البنفسج وشيع البقر، فيجمعها ويدقها مع بعضها البعض ليفورها المشتكي ويشرب منها.

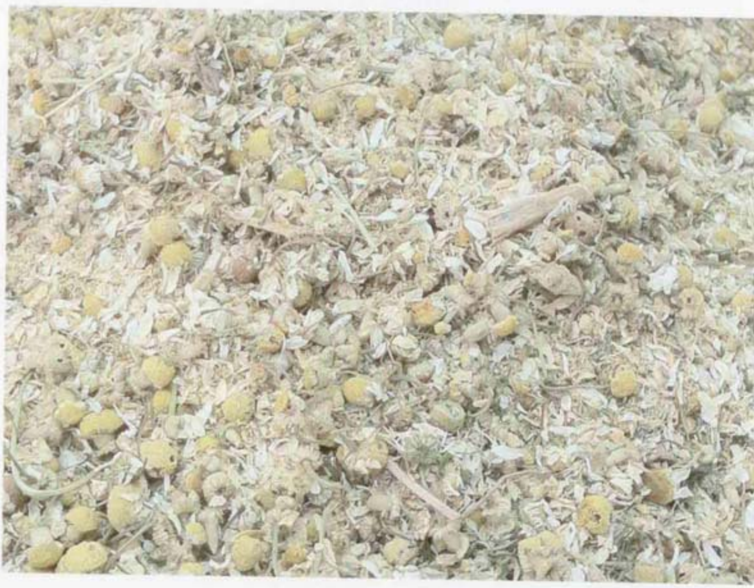
عود الصليب للصرع

عند ظهور حالات «صرع» يقدم لهذه الحالة العطار وصفة بخور مكون من لحم الجن أو جندب لستر وشوك القنفد والشذاب والحبة السوداء والكلخ، وينصح العطار بضرورة تبخير المصاب يومياً بهذه الوصفة قبل النوم، وعند ظهور نوبة الصرع يتم استدعاء العطار على الفور ليقوم بحرق عود الصليب ويلسع المريض وهو في غيبوبته ثلاث لسعات في منطقة جانبي الرأس ما بين الأذن والحاجب ويستمر تنفيذ وصفة البخور لفترة أربعين يوماً.

وقد تعرف عطارة جدة القدماء وهم في قمة عطائهم العلاجي على علاج لمرض «الصدفية» وذلك خلال الرحلات التي يقومون بها لطلب

العطارة بعد أن أصبح المرض تحت مجهر عطارة جدة وسؤالهم المستمر نتيجة لظهور أكثر من حالة إصابة بالصدفية في الفترة ما قبل هدم سور جدة بسنوات معدودة وخشية على انتشار العدوى بين أبناء البلدة الواحدة.. وبمجرد ظهور حالة مصابة بالصدفية يصف العطار علاجاً يستمر لثلاثة مراحل، كل مرحلة يستمر فترة تنفيذها اثني عشر يوماً.

والبداية تكون بشربة السنا والزبيب الهندي والهليلج والتمر الهندي ليشرب منها المصاب بعد تنقيعها.. وإذا ظهرت بوادر التحسن على حالة المريض ولو نسبياً يصف له وصفة مكونة من العشبة وثمرة الفؤاد والنبات الشيناوي وزهرة لسان الثور وزهرة البابونج وزهرة الضرم وزهرة الختمي والشيح المصري وشيع البقر البارد واللبان الشحري والحبة السوداء، تفور هذه الأصناف ويشرب منها المشتكي.. وفي المرحلة الثالثة والأخيرة إذا ظهرت علامات الشفاء يصف العطار للمشتكي بـ «الدلوك» وهو مر كالعلقم ليفوره ويشرب منه.. بالإضافة إلى دهان يدهن به المصاب جسمه مكون من الحناء والمر الحجازي والهرد وزيت الزيتون وزيت السمسم.



زهرة البابونج

فتوات الحارة



صورة لفتوات زمان

فتوات جدة القديمة وياباتها وشجعانها يتعاملون مع محل شيخهم العطار بالخفية، ليحصلوا منه على سر بقاء قوتهم وصلابتهم وفتونتهم التي يحسب بفضلها لهم الكثير ألف حساب، فهم الأقوياء وأصحاب الكلمة والموقف والحسم عند العركات التي قد تثار بين فتوات الحارات.. فوقوفهم يكون في أصعب المواقف التي تحتاج إلى حديث العضلات وفرض سياسة القوة لأنصاف شخص اُلقي عليه الخطأ والظلم وإنقاذ أخر أو فض اشتباك يتطلب التدخل السريع بين شخصين أو أكثر.. فالفتونة في الحارة هي إنسانية نبل وشجاعة وليست قسوة وجبروتاً وتعدياً على الآخرين.

ومن أشهر فتوات ويابات الحارات الذين يذكرهم لنا آخر معمرين عاشوا زمان الفتوات واليابات، محمد شحاته وعبد القادر أمير وأولاد الصعيدي والريس وصالح حمتو وأحمد أبو السنون وحسن كوكو ومحمد أو صفية وعلي زيدان وخليل باركلو وأحمدو أسعد تكروني وعبد الله حسنين وصالح زعزوع وعباس كزك وصالح نوار وغيرهم وغيرهم الكثير والكثير من الأسماء اللامعة التي سجلت نفسها في ذاكرة القدماء ممن عاشوا الحياة القديمة بمواقفها وعركاتها ومشاجراتها.

وكان لكل حارة من الأربع الحارات أسماؤها المعروفة من الفتوات واليابات، وفي حالات كثيرة يلقب أبناء الحارة فتواتهم من شدة شهرتهم وامتداد سيطهم بألقاب مختلفة تعرف كل واحد منهم، وهي ألقاب تصف القوة وتدل على الفتونة منها لقب «الفتاق» أو «العجام» أو «ديب الخلا» أو «همني» أو «الألوو».

وكان يطلق على الفتوة بلقب «مُشكل»(١٨) ويقال فلان مشكل - بضم

الميم وتسكين الشين وكسر الكاف وتسكين اللام - أي فلان ولد الحارة الشقي والمشاكس الذي استقى شخصيته من أزقتها وممراتها.

وفتوات كل حارة لا يسمحون لأمثالهم من أبناء الحارة المجاورة بدخول حارتهم كنوع من فرض القوة والهيمنة لحارتهم أو بتفسير آخر هو تأكيدهم على عدم مقدرة أي فتوة من الحارة المجاورة على أي تجاوز لسيادة حارتهم وفي حالة دخول الفتوة إلى الحارة فعليه الدخول رافعاً راية السلام البيضاء وعدم لجوئه إلى القوة بأي حال من الأحوال ودون حتى المباهاة بقوته المعروف بها والتي أهلته ليكون فتوة معروفاً.. فهو سيكون وسط تحرش الفتوات إذا حاول تقديم سياسة القوة وحديث العضلات، فإذا زل بمحادثتهم بأسلوب القوة أو بإستفزاز ملحوظ فسيكون مشهد كصراعات الديكة وسيتجرع مرارتها من جميع الفتوات في عركة يشهدها الجميع وتكون حديث جلساتهم.

ذلك بصفة عامة ليس شعوراً عدائياً بين أبناء الحارات الأربع وهم يعيشون مشاعر موحدة وأفراحاً بابتسامة واحدة وأحزاناً بهم واحد وإنما هو يبين احترام المجتمع البسيط لمبدأ القوة ويعكس أيضاً التباهي بها وتبعد الجميع عن محاولة التشاكل مع الفتوة أو إخوانه أو أعزائه، وإذا حدث فيتدخل الفتوة لرد الاعتبار كأبسط سبيل للتعبير عن شعور الغضب لشخص يعرف الجميع قوته.

ويصل الأمر إلى حدود إقامة الاحتفالات والمناسبات، والتي عادة ما تشهد اشتعال نيران لعبة المزمار، فلا يسمح الفتوات لأبناء أي حارة مجاورة بالدخول لساحة المزمار وإذا سمحوا له باللعب فيكون تحت مراقبتهم فغالباً ما ينتهي المزمار بسقطات العصا على رؤوس أخر لاعبيه.. وكما

يصف حسن محول بأن عصا المزمار إذا تحرشت بأحد عشاقها فإنه سيتولع بمشاجرات المزمار المعتادة سواء كان ضارباً أو مضروباً.

وفي حالة زفاف عريس من حارة المظلوم مثلاً على فتاة من حارة البحر، فإن مجموعة من الفتوات يصحبون العريس إلى بيت أهل العروسة ويلتفون حوله في زفة محاطة بالفتوات حتى يصل سالماً إلى حارته، ويتم مراسم زفافه على عروسه.. وكما وردنا فإن الأمر لا يقاس بالعداء وإنما هو تقليد متبع بين فتوات الحارة خشية أن يعترض أحد فتوات الحارة المجاورة للعريس في ليلة دخلته أو يتحرشوا به لأي سبب معروف أو غير معروف ويتعكر بذلك صفو العريس في أجمل ليالي حياته.

والفتوة دائما يكابر ولا يعترف «بعلقة» أو موقعة نال فيها ضرباً أسقطه على ركبتيه أرضاً مهما أصيب وبطح فهو أعتاد بأن يبرر ذلك بظروف وأسباب تخدم موقفه ولا تجرح غروره ولا تشعره كأحد الفتوات بانكسار رقبته وتراخي رأسه من الخجل عند ذكر ذلك الموقف المخزي له والمضعف لما يقال عنه من أمثلة في الشجاعة والبطولة.

لذلك كان الفتوات يحرصون على سؤال العطار عن أبرز الوصفات التي تزيد من تماسك العضلات وتحفظ تكاتفها وتناميها.. فكان العطار يصف لهم الزبيب الأبيض والصنوبر واللوز الحجازي مع العسل، لتكون وصفة يداوم على تناولها من يريد حفظ قوته في مجتمع يحترم العضلات ويقدر وجودها فتربي هذه الوصفة عضلات الشخص وتنميها باستمرار.



الطباخ الشعبي بكر برناوي



الفتوة محمد حبيب

الدقة والعطرون لفتح الشهية

ودائماً يزوّد العطار زبائنه - من هذا النوع - بالمشهيات التي تفتح شهيتهم وتثير نهمهم لأكل جميع الأصناف والوجبات ومن هذه المشهيات «العطرون» ويقوم العطار بحرق وصلة منه ويطمسها في قليل من ماء الليمون، فيشرب منه الفتوة ويلتهم بعدها كل ما هو أمامه من طعام، وكأن المثل يضرب في هذا الصدد بأكثر الفتوات قدرةً على التهام الطعام وتعكس تلك القدرة قوته ومتانة وتماسك عضلاته.. ومن المشهيات أيضاً «الدقة» يجمعها العطار من ثمانية أصناف وهي الملحة السوداء وملح الليمون والليمون الناشف والفلفل الأسود والكمون والزعتر والشمر والنانخا، ويلحس الفتوة منها قليلاً قبل البدء في الأكل بلحظات لتفتح شهيته ونهمه للأكل الدسم مهما بلغت كميته.

كما ينصح العطار مراجعيه من اليابات والفتوات بأكلة «المفتقة» وهي أكلة دسمة مكونة من ما يزيد عن أربعين صنفاً من الأبازير التي يجمعها العطار، والتي يضاف إليها العسل وزيت السمسم ومن أصنافها عرق الإنطراب وعرق الإنجبار والهيل الهندي والزبيب الهندي وعرق السوس والخولنجان والقرفة والقرنفل والهيل الحبشي وعود القسط واللبان الشحري والسنمكي والمغاط والسحلب والموصلي والكتيرة والشيح والخردل وبذر الفجل وبذر الجرجير وحبة خضرا وحبة حلوة وزعفران مغربي، وغيرها من الأصناف التي تشكل في نهاية المطاف وجبة دسمة جداً تناسب معدة الفتوات وعضلاتهم المفتولة.

وإذا كان الشخص هزيل البنية ويرغب في زيادة وزنه ويتخلص من



وصفة العطرون

لمن يرغب في زيادة وزنه

هزالته الواضحة التي قد تقلل من شأنه بين أبناء حارته ليلحق بركاب الفتوات واليابات، فإن العطار يقلب معادلة جسمه من الهزالة والنحف إلى البدانة والسمنة والتخمة.. وذلك بعد أن يصف له وصفة «خزف البقر» المكونة من اللوز الحجازي وعين الجمل والقعقع والفستق والبندق والزبيب، أو وصفة العنبر البقري مع العطرة وحبة البركة وقليل من الجوزة، فالمداومة في استخدام هذه الوصفات - كما ينصح العطار - قد تفرط الجسم الهزيل وتصاب غدده المقلة بالإفراز المتواصل إلى أن يصاب الشخص بالتخمة الهائلة إذا داوم لفترة طويلة على استخدام الوصفة.

حتى أن أصناف الحلوى الشعبية القديمة تدخل في صناعتها مواد بالغة القوة والدسم كاللوز الحجازي والسمن البلدي والحليب والتمور

والحمص والدقيق وغيرها، مما يجعل الفتوات يقبلون على أصنافها مثل الكنافة والبقلاوة والمهلبية واللدو واللبنية والمهجمية والشامية والدبيازة والمعمول.. وصناعة هذه الحلويات لم تتأثر بمرور السنين، ولا يزال الطلب عليها قائماً حتى وقتنا الحاضر خاصة في المناسبات والأعياد، ولا زال لهذه الأصناف عشاقها، بل ويعتبر تواجدها في الأعياد لدى البعض عادة لا تنقطع، ويؤكد هذا الإقبال نجاح أكثر من مصنع خاص بإنتاج الحلوى الشعبية بأصنافها المختلفة لتغطية طلبات الكثير لأصنافها.. رغم إغراق الأسواق بالحلوى الأوربية والأجنبية التي يتجاوز عدد أصنافها وأنواعها مئات الأنواع.

ورق الذهب للفتوة النائم

كذلك الحال بالنسبة للشخص الذي يفكر في الإقدام على مشروع



ورق الذهب
يحفظ قوة وتماسك العضلات

الزواج.. وهو من الأشخاص الذين يحرصون على بنيتهم الجسمانية من أن تفقد توازنها وتماسكها وانسجامها بعد فترة شهر العسل الذي سوف يقضيه الفتوة نائماً في منزله دون عركات وتحرشات أصدقاءه من الفتوات ودون حركة يومية أو عمل يقوم به.. فيصف العطار للعريس الفتوة وصفة الذهب والفضة التي تضمن لبنيته التماسك والترابط والقوة والانسجام، ويضاف إلى ورق الذهب وورق الفضة كلاً من دار الفلفل ودار صيني وكباب صيني والخولنجان العقاربي الخولنجان الهندي والفلفل الأسود والفلفل الأبيض والهيل الحبشي وعود المغاط وعود القرح وبذر القرح وبذر الفجل وبذر الجرجير والزعفران المغربي والحبة السوداء مع العسل.. وكان الفتوات يعتقدون بنصائح العطار لهم بشأن هذه الوصفة التي ستعقد حلقات الجسم لأكثر من شهر وتحمي العضلات من التفكك والتراخي طوال أيام الشهر الخامل!

الرشاقة بالسبع أو الأسد

ومثلما كان البعض يهتم بوصفات القوة والعضلات، فإن هناك فئة أخرى لها اهتمامات بوصفات معاكسة تماماً، تستخدم لأغراض الرشاقة والتخسيس والمحافظة على توازن الجسم ومكافحة أي زيادة قد تقود الجسم إلى تخمة أو سمنة تهدد رشاقته.

ويقول العطار عبد الله سالم باقبص «كانت هناك فئات تواظب على استخدام هذه الوصفات لتكافح زيادة وزنها وخاصة إذا كان الجسم قابلاً للزيادة السريعة.. وأيضاً كان بعض النساء يبحثن عن هذه الوصفات لإزالة الشحوم وزيادة الوزن وحتى يعود الجسم كما يعتقدن

سنوات إلى الوراء ويستعيد بذلك رشاقته بعد إزالة الشحوم تماماً، فالمداومة على تناول هذه الوصفات يحمي جمال الجسم من تشوهات التخمة الزائدة».

ويكافح العطار زيادة الوزن برجل الأسد أو بِلف السبع، ويضاف إلى أحدهما قليلاً من زهرة البابونج، فهي وصفة تسقط الشحوم ولا تسمح بزيادة الوزن نتيجة أكل الوجبات الدسمة إذا ما كان الشخص نهماً للطعام.. ويكون الرجيم هنا إجباريا حيث ينقاد الشخص مجبراً بعد كل وجبة دسمة لإخراجها، بعد أن يصاب الشخص بإسهال مستمر ويفقد بذلك الجسم ما أكتسبه من وجبات دسمة.

ويخير العطار طالب التخسيس برجل الأسد أو لف السبع، ليختار منهما الأكثر فعالية للقضاء على سمنه وإزالة شحومه.. فالذي يشكو من عدم فعالية الأسد يقدم له السبع والعكس جائز في كل الحالات !!



رجل الأسد

للرشاقة والحد من البدانة

طبيب الأبقار

لا يستطيع اللبانة المنتشرون في جدة القديمة الابتعاد ببقرهم عن محل العطار، فهو هنا همزة الوصل بينهم وبين بقرهم، ويحرص اللبانة على التواصل مع العطار طوال أشهر ومواسم السنة للحصول على الوصفات التي من شأنها أن تزيد من قوة بقراتهم وتعزز وتوسع كمية إنتاجها اليومي من منتجات الألبان.. ليحقق اللبان أعلى معدل ربح من بقراته بفضل وصفات العطار ومعرفته القديمة بأحوالها وشهرته المتوارثة لعلاج المريض منها، أو إعادة جريان الحليب إلى البقرة التي أصابتها الكهولة، عندها يتبين للبان قلة عطائها وإنتاجها.. في الوقت الذي كانت فيه أحواش اللبانة المصدر الرئيسي والوحيد لإنتاج منتجات الحليب والألبان في ذلك الزمن الأصيل من تاريخ مدينة جدة القديمة.

وكان من أشهر اللبانة في ذلك الوقت محمد خميس وعبد الله عبد الدائم وعباس دبوس وحسن فتة وأحمد شعيب وأبو النجا والصبان وزمريك وغيرهم، ممن يسلمون جميع بقراتهم لتجارب العطار ويعتبرونه طبيبهم الذي يعلم بأحوالهم وأمورهم مثلما هو طبيب البلدة بأكملها.

فكثيراً ما تصاب الأبقار بالأمراض العارضة أو المعدية بين البقر التي كان اقتناؤها أمراً مستحباً، ولكنه ليس بالأمر اليسير وإنما هو بحاجة إلى معرفة ودراية ورعاية مستمرة.

وبعد كل فترة زمنية يجمع العطار مجموعة من الأصناف التي تكون وصفة تطرد الحشرات والزواحف عن حوش الأبقار لتحفظ البقر من أي أمراض قد تنتقل عدواها وكذلك للمحافظة على نظافة حوش الأبقار من انتشار التلوث والأوبئة. وتتكون وصفة العطار من البصل الحولي وقشر

الثوم وورق العبب وقليل من الحلتيتة وقرن أي حيوان.. ويبخر اللبان بقراته والحوش كاملاً بهذه الوصفة للحفاظ على سلامة بقراته.

الأنميمة لسهولة الحلب

وإذا كانت إحدى البقرات تنفر من صاحبها، رافضة حلبها تماماً دون أن تظهر بوادر أو أعراض أي مرض على البقرة، ينصح العطار رفيقه اللبان باستخدام الأنميمة وهي وصفة يجمع العطار أشتاتها، مكونة من شوك القنفد وعين العفريت والشذاب والفطيمون والفاسوخ والكلخ.

ويرسل اللبان إلى الدباغ ليصنع شنطة جلدية مشغولة لحفظ مكونات الوصفة وبركتها وتعلق في رقبة البقرة لتكافح حاسديها وتطرد عنها العين التي أصابتها بعد أن كانت كثيفة الإنتاج وأصبحت دون أي سبب ظاهر ترفض رفضاً باتاً حلبها من اللبان، وهذه الوصفة هي ضرب من الشعوذة يلجأ إليها اللبان.. وأحياناً يستعد بعض اللبانة بتعليق هذه الوصفة على عنق إحدى بقراته التي تزيد في إنتاجها وقابليتها للحلب عن بقية البقرات خشية أن تصيبها عين حاسدة لا تذكر الله عند امتداح عافية البقرة وغزارة إنتاجها عن بقية أخواتها.

وعند انتفاخ معدة البقرة واضطرابها يصف العطار الشيح، وإذا واجه اللبان حالة إسهال لإحدى بقراته يصف له العطار البنّ بعد حله بالماء ويسقي بقرته منه. وإذا أصيبت بقرة بالسعال الديكي ينصح في هذه الحالة بكي منطقة الرقبة والصدر ومنطقة الكتف، وفي حالة ظهور أورام على البقرة يقدم العطار للبان طين الأرمل ليدهن به بقرته المصابة.

الطخ والكشر لزيادة الإنتاج

وإذا لاحظ اللبان تناقص أو قلة حليب إحدى بقراته وتجاوزها مرحلة القوة والإنتاج لكبرها، فلدى العطار وصفة تعيد إليها شبابها وحيويتها ونشاطها لتعود بإنتاج غزير ووفير والوصفة مكونة من الطخ والكشر لتدق وتخمر مع الماء ويُطعم اللبان بقرته منها باستمرار حتى تستعيد شبابها ولياقتها، وهذه الوصفة عبارة عن مقويات تجعل البقرة بعد تناولها في حالة نشاط وإنتاج مستمر.

وعند نفاس البقرة يسرع اللبان إلى محل طبيبه العطار ليجلب منه وصفة الصبر الناشف فيحرقه ويبخر منه البقرة ومولودها والركن الذي اختارته لتبقى به ومولودها خلال الأيام الأولى من الولادة، ويحرص اللبان على تكرار الوصفة لحفظ البقرة ومولودها من أي عين حاسدة قد تصيب إحدى بقراته بعد هذا الإنتاج الجديد.

وإذا ظهرت حساسية على لسان أي بقرة، وهذه الحساسية تقلل من قابلية البقرة وتسبب لها آلام شديدة ينصح العطار بـ «العطرون» بعد أن يُدق ناعماً ويتعاون اثنان على تنفيذ هذه الوصفة.. الأول يقوم بفتح فم البقرة بينما يقوم اللبان بِدعك لسانها بشدة بالعطرون حتى يزيل بقوة الفحص والدعك الحساسية والالتهابات بعد أيام قليلة من تنفيذ الوصفة.

العرصب لسرعة إنجاب البقرة

وإذا لاحظ اللبان عدم قبول بقرته للإنجاب والتزاوج وهروبها من ثيران الحوش لفترة طويلة يأخذ بنصيحة العطار باستخدام «العرصب» الذي يزيد من رغبة البقرة للإنجاب والتزاوج وذلك بعد دعك اللبان

به محاشم البقرة وليس له بعد ذلك إلا انتظار نتيجة استخدام وصفة العرصب لمرة واحدة فقط.

والعطار يعرف الكثير من الوصفات المتعلقة بالبقر وذلك لاعتماد اللبانة عليه كطبيب بيطري، مثلما هو طبيب أبناء مدينته الصغيرة، فهو لا يمانع في أن يصاحب ذوي المريض لزيارته في بيته إذا تطلب الأمر ذلك للتأكد من أعراض المرض وبوادره، مثلما هو لا يمانع من مرافقة اللبان إلى حوش الأبقار لمعرفة حال أبقاره إذا تناقل فيما بينهم مرض من الأمراض المعدية والتي قد تعرض صحة أبناء البلدة للخطر.

وبقي العطار طبيب اللبانة حتى قلّ تواجدهم وتناقصت أعدادهم ونفدت كامل الأبقار من أحواشهم وانعدموا من الوجود نهائياً في مدينة جدة بعد الظهور القوي والانتشار السريع للشركات الكبرى المنتجة للحليب والألبان التي أغرقت بمنتجاتها الطلب المُلح على الألبان وأسقطت اللبانة من الوجود تماماً.



اللبان/ محمد شعيب

آخر العطارين المحترمين

الحديث هنا عن آخر الرجال المحترمين من عطارة مدينة جدة، وآخر سلالة نسلهم التاريخي، وآخر عنقود المجموعة الذهبية التي يتوسطها أشهر عطار عرفته البلدة وهو أحمد قمصاني الشهير بالشلبي الذي ترك صبيه الوفي أحمد بن علي العروضي يصارع كل محاربي العطارة بأسلحته القديمة، مدافعاً عن عشق معلمه الذي أورثه حب وعشق العطارة.

ورغم أن الأوضاع قد اختلفت تماماً وانقلب الحال أمام العطارة، بقي العروضي العطار بمفرده لما يزيد عن الخمسة والثلاثين عاماً بعد رحيل العطارة التسعة، يحكي عن العطارة القدماء ويردد وصفاتهم الشعبية ويسرد الحكايات والتجارب والمواقف التي أكسبته خبرتهم حتى أصبح العطار الوحيد الذي يخبئ أسرار وخفايا العطارة وسط زحمة عيادات الأطباء وانتشار المستشفيات الكبرى وهجرة الناس لجدة القديمة ونسيانهم ذكرياتهم مع الشلبي العطار في أحد أركان سوق العلوي.

وقد وقع اختيار الشلبي على أحمد العروضي بعد أن أعجب بصوته الجميل وهو يقرأ القرآن الكريم بعد صلاة الفجر بمسجد المغربي في عام ١٣٦٢هـ وعرض عليه بعد انتهائه من القراءة مباشرة فكرة الانضمام إلى هذا المجال الخصب والهام، والذي يتمنى الجميع الالتحاق بقافلة إحدى عياداته الشعبية ليكون طبيباً مساعداً له يتعلم ويتلقى منه وصفات وأصول العطارة والطب الشعبي ويكون أصغر عطارة جدة القديمة حيث كان عمره لا يتجاوز في ذلك الوقت الخمسة عشر عاماً.

وشهد بذلك العروضي جزءاً هاماً من نمو العطارة وتطويرها على يد أشهر مشايخها وفرسانها وأكتسب مع مرور الزمن الخبرة والتجربة التي كانت تفرض الحاجة الملحة ضرورة خوض غمارها، وأصبح



العطار العروضي

العروضي هو مساعد الشلبي العطار وساعده الأيمن الذي يرافق ظله في كل تحركاته المتعلقة بالعطارة، وبعد وفاة الشلبي عام ١٣٦٩هـ استمر في نفس محل معلمه القديم حتى عام ١٣٨٠هـ فتركه بعد أن دعت الحاجة إلى أن ينفرد بمحل مستقل يستثمر خلاله تجاربه وخبراته وثقة الناس به، فقد عرفوه بالشلبي ويعتقدون بأن معلمه منحه القليل من بركاته وقسطاً وافراً من علمه ومعرفته بالعطارة وأصولها.

وظل العطار العروضي قبيل وفاته وهو يستقبل الحالات المرضية في محله القديم بنفس الأسلوب التقليدي القديم، يشخص الحالة ويضع وصفته لعلاجها ويخضع مريضه للحمية اللازمة على طريقة معلمه الشلبي قبل أكثر من خمسين عاماً، وقد شهد في بداية تعلمه العطارة دخول أول صيدلي بشارع الملكة وقيام أول مستشفى خاص في العام الذي حطمت فيه هذه المدينة سورها العريق الذي يحدد مسافات اتجاهاتها وحتى انتشار العيادات الخاصة بباب مكة وباب شريف.. ولم يتراجع رغم التطور الذي لازم الطب الحديث والهجرة الجماعية التي أصابت العلاج بوصفات العطارين منذ قيام أول مستشفى في العام ١٣٦٧ هـ وحتى وفاته بعد خمس وأربعون عاما من تاريخه وهو يمارس نشاطه وينفذ حكمة العطارة القدماء ويكون بذلك مستشاراً للقلة القليلة التي لا زالت تتمسك وتعشق وصفات العطارة لثقتهم بخبرة العروضي التي تشكلت على يد رجل العطارة الأول أحمد قمصاني الشهير بالشلبي مما مكنه من النجاح في محله المستقل الذي يحمل رغم صغر مساحته حكمة القدماء في هذا المجال الذي اشتهروا فيه.

وقد عاش العروضي العطار تاريخ العطارة على امتداد جيلين متتابعين في نفس موقعه بالعلوي.. الجيل الأول الذي يشتعل عشقه للاستمرار في العطارة ويتمسك بها بإلحاح مهما حقق الطب الحديث من تطور وتقدم، ومعظم هذه الفئة من المعمرين ممن يرفضون إجراء الأشعة والتحاليل وعقاقير وأدوية الأطباء وإجراء العمليات الجراحية فيرفضون الطب الحديث بوجود عطارهم الجهبذ الذي تعلم على يد الشلبي وكان في زمن سابق صبيه في العطارة.. والجيل الثاني هو من أبناء الجيل الجديد الذين شهدوا النور عبر منافذ المستشفيات الكبرى، التي أصابت مهنة العطارة بالذبول وقلصت دورهم وأسقطت مكانتهم.. فهم ينظرون إلى العطارة على أنهم باعة خردوات مطبخية أو مواد تثير الحساسية وتهيج الجيوب الأنفية.

وهو بذلك يكون العطار الوحيد الذي شهد كامل تطور الطب الحديث وهو على رأس المهنة وشهد كذلك حالة السقوط الكامل لمهنته التي عشق ترابها حتى أصبح محل العطارة يعني لدى الكثير بأنه محل لبيع بهارات وتوابع الطعام وبعض الأعشاب التي يجب الحذر من تعاطيها بالصورة التقليدية الشعبية.

لكن عطارنا ظل طوال فترته وحتى قبيل وفاته يعمل عطاراً شعبياً ولو لحالات قليلة، فهو يترقب الحالات التي يفشل معها الأطباء ولم تنجح وسائل وإمكانيات الطب الحديث في إيجاد حلول لمقاومتها ودفع البلاء عنها، فينتظر آجلاً أم عاجلاً قدوم هذه الحالات طلباً للعلاج وهي تبحث عن أي حل أو علاج يكفيها من أوجاعها وآلامها وبلاء المرض الذي تعاني منه.. فيوصي العطار بحكمة معلمه التاريخية بأعشاب تعالج كل أعضاء

الجسم ولا ينقصها إلا التحليل المخبري والأشعة.. وهذا النقص في معادلة الطب الحديث هو الذي يجعل الأطباء يحاربون العطارة على اعتبار أن العلاج يتم عشوائياً وبدون دقة مطلوبة في تحديد المرض، فقد تصلح الوصفة عضواً مريضاً كما يقول الأطباء وتفسد أكثر من عضو سليم.

وذكر لنا الشيخ العروضي قبل وفاته مواقف أثبت خلالها صحة الوصفات الشعبية التي يحفظها منذ أن كان صبياً في محل الشلبي العطار قبل عشرات السنين، وهي تسجل في نفسه انتصارات خالدة تسطر بأحرف من ذهب مهما طال الزمان أو قصر، فقد استطاع أن يعالج حالات عجز الطب الحديث بكل إمكانياته وحيله وأساليبه في أن يضع لها حلولاً بالطرق السليمة دون إجراء عمليات جراحية بالغة التأثير.. وكان خلالها يمثل موقف المنافس الشريف والمحارب الصبور رغم غياب المنافسة ورحيل جميع العطارة القدماء، فكان العروضي يجهز قوسه للتصويب ولكنه يؤجل إطلاق أسهمه إلى الحين المناسب للإطلاق والتسديد.

الحالة الأولى التي سردها لنا العطار العروضي قصتها كانت لطفل لم يتجاوز من عمره الخمس سنوات، وقد أثبتت أشعات الأطباء بأن أذن الطفل تحبس داخلها حبة فول صحيحة، وحلل ذلك الأطباء بأن حبة الفول قد انحبست داخل أذن الطفل منذ طفولته المبكرة وأنه كان يسمع بأذن واحدة فقط بسبب انسداد الأذن اليسرى بحبة الفول، ولما بدأت أعضاء الطفل تتسع وبدأ يشعر بآلام مزعجة والتهابات في أذنه.

وقد عرض والده الطفل على المستشفى وسجلت الأشعة هذه الحادثة الغريبة من نوعها، وقد قرر الأطباء في المستشفى إجراء عملية جراحية

سريعة في أذن الطفل لاستخراج حبة الفول، وعند عودة الأب إلى بيته بصحبة صغيره لينام مبكراً استعداداً للعملية استشار عطارنا وهو في طريقه إلى منزله يسأله عن رأيه ويحكي له قصته كآخر حل يمكن تقديمه قبل إجراء العملية الجراحية.. ونصح عطارنا والد الطفل بزيت اللوز المر ليقطر منه بعد غليه على أذن الطفل قبل النوم وأكد له بأنه مفيد لالتهابات الأذن، وبعد تنفيذ الحكمة الشعبية وجد والدا الطفل وقد سقطت من أذنه حبة الفول صباح اليوم التالي وأسقطت معها كل توقعات الأطباء وقراراتهم بشأن العملية التي ستتطلب إحداث شق جراحي في أذن طفلهم بعد إخضاعه للبنج الكامل لساعات طويلة.. بينما صغيرهم يخلد في نوم هادئ بعد أن ذهبت عنه الآلام التي كانت تلاحقه بسبب حبة الفول المحبوسة بعد استخدام وصفة قطرات زهيدة من زيت اللوز المر!

أما الموقف الثاني الذي أطلق خلاله العروضي سهماً من أسهم العطارة القدماء لحصن الأطباء، فهو يتعلق برجل ثري عجز الأطباء في جدة والقاهرة وباريس ولندن عن إنقاذ رأسه من تساقط الشعر المتزايد والمستمر، الأمر الذي سبب له أزمة نفسية أرغمته لزيارة هذه المدن العالمية والتي تشتهر بوجود أبرز الأطباء وأشهرهم في هذا المجال ليضعوا حداً لانتشار الصلع وامتداده في رأسه مما كبده الخسائر والمبالغ الطائلة دونما أن يجد حلاً يوقف التساقط المستمر.. وكانت فرصة الشيخ العروضي ليثبت صحة وفعالية إحدى النظريات القديمة للعطارة ويكسب خلالها موقفاً جديداً لصالح العطارة بعد إجحاف دام سنين

بحقهم، خاصة وأن الرجل الثري كان يحكي هذه القصة أمام مجموعة من المدعوين لمناسبة اجتماعية، وكان عطارنا من بين المستمعين إلى هذه القصة، ورمي بعدها للرجل وصفة «قصب الذريرة» أو «الكرياتة» الشعبية بعد أن راهنه على نجاحها في المحافظة على آخر شعرات في رأسه ومفعولها السريع لحماية نقوده من النفاذ والضياع نتيجة تجارب الأطباء على صلعته الحساسة بوصفة شعبية لا يتجاوز سعرها العشرة ريالات.

وجاءت رمية العطار في مكانها بنجاح الوصفة أمام مجموعة من الناس فقد شهدوا فعالية تأثيرها في وقف حالة المد للصلع في رأسه وقد أطاحت بمحاولات أشهر الأطباء المتخصصين بعدما شعر الثري باليأس الكامل وأصبح يشكو لأصدقائه معاناته القاسية.

وكانت فرحة العطار بهذه الانتصارات ليست لتحقيق أهداف مادية وإنما ليعيد لنفسه ولو لحظات من ذلك الزمان الذي كان يعيشه وسط حفاوة أبناء حارته وتقدير الجميع له واحترامهم مكانته ووضعه وإخلاصه في خدمتهم.

وكان رحيل العروضي يعني غياب آخر عطار يرحل عن العطارة من جيلها الذهبي وبعد ما يزيد عن ستين عاماً في المعالجة بالأعشاب حيث وجد نفسه مضطرا لطرق أبواب مستشفى خاصا طالباً العلاج بعد أن تلبدت في مرارته ثلاث حصوات لم تفلح أعشابه في إذابتها أو تفتيتها وإزالتها أو حتى التخفيف من حدة آلمها!

المصادر الشفهية

اعتمد هذا الكتاب بصورة أساسية على المصادر الشفهية في التسجيل والتدوين، نظراً لانعدام المصادر المكتوبة و المسجلة عن هذا الجانب من تاريخ مدينة جدة. وقد التقيت بعدد من كبار السن والمعمرين في المنطقة لرصد وتسجيل وتوثيق المعلومات عن العطارة الشعبية في جدة القديمة، واستمر ذلك التسجيل لفترة عامين تقريباً، علماً بأن جميع التواريخ المسجلة عن أبرز العطارة قد تم تسجيلها من أبنائهم و أقربائهم.

ومن هذه المصادر الشفهية: المرحوم عمرمحمود باعيسى عمدة محلة الشام والمظلوم سابقاً، والسقا صالح خضري، والعطار أحمد بن علي العروضي، والعطار عبد الله سالم باقبص من سوق العلوي، العطار عبد الله سعيد باقبص من سوق العلوي، وعبد الرؤوف إبراهيم بترجي و الدكتور ناجي عبد الرزاق من أوائل العاملين في الطب و الصيدلة، ومحمود علي أبو زنادة، و إبراهيم عسيري وحسن محمد جوهر و حسن محول و محمد محمد زاكر وأحمدو أسعد تكروني والطباخ بكر محمد بكر برناوي و البنا عيسى معتوق عبد العاطي واللبان محمد أحمد شعيب وعبد الله سعيد باخريبه وغيرهم من المسنين و المعمرين وعدد من الدايات منهم الداية أم زهران و الداية أم خالد والداية رشيدة.

الإحالات

١- جدة في مطلع القرن العاشر الهجري ، د.نوال سراج ششة ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣ م

٢- تاريخ مدينة جدة ، عبدالقدوس الأنصاري ، ط٢ ، ١٤٢٠ هـ ١٩٨٢ م

٣- دراسة ايكولوجية على متغيرات النمو السكاني بمدينة جدة ، فاطمة عبد العزيز الحمدان، ط١، ١٤٠٨ هـ

٤- تاريخ مدينة جدة ، عبد القدوس الأنصاري.

٥- الكنداسة : هي مقطرة ميكانيكية لتحلية مياه البحر بواسطة الفحم الحجري أحضرها العثمانيون من أوروبا سنة ١٣٢٥هـ .

٦- الصهاريج : هي خزانات تشيد لحفظ مياه السيول والأمطار .

٧- الزفة : عبارة عن صفيحتين أو تنكتين مملوءتين بالماء يحملها السقا على عاتقه .

٨- تاريخ مدينة جدة ، عبد القدوس الأنصاري

٩- مركز المعلومات ، وزارة الصحة بجدة .

١٠- مركز المعلومات ، وزارة الصحة بجدة .

١١- تاريخ مدينة جدة ، عبد القدوس الأنصاري.

١٢- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة : محمد علي مغربي.

١٣- المصدر السابق

١٤- المصدر السابق

١٥- إعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري ، محمد علي مغربي ط١ ١٤١٤هـ، الجزء الثالث .

١٦- مكة في القرن الرابع عشر الهجري . محمد عمر رفيع

١٧- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ، محمد علي مغربي.

١٨- مكة في القرن الرابع عشر الهجري . محمد عمر رفيع ، ط١ ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١ م

المحتويات

إذا كان الكتاب في يومنا هذا لا يلفت النظر كثيراً فإنه للقرون القادمة يمثل كنزاً فريداً من نوعه ، فقد قدم هذا الكتاب عملاً بديعاً يحفظ للتاريخ كثيراً من المعلومات عن هذه المهنة الآخذة في الاندثار.

د. عزيزة المانع

جريدة عكاظ ١٤ ذو القعدة ١٤٢١ هـ العدد ١٢٥٨٤

أسباب سعادتي بالكتاب كثيرة وعديدة أولها وأهمها أنه يسجل تاريخاً لظاهرة اجتماعية في فترة زمنية محددة مما يدخله في إطار الكتابات التاريخية وتناوله لشريحة اجتماعية من شرائح المجتمع الجداوي في زمن تاريخي سابق وهذا التناول نفتقده بكل آسى في كتاباتنا التاريخية المعاصرة

د. عبد الرحمن سعد العرابي

جريدة المدينة ١٧ شوال ١٤١٧ هـ العدد ١٢٣٦٩

لعل ما لفت انتباهي بالكتاب خلاف الجهد الذي بذله المؤلف من حيث الاعتماد على المصادر الشفهية والتسجيل لمدة عامين هو التزامه بالأمانة الصحفية والتسجيلية حيث حرص على ذكر المصادر الشفهية حسب ما توفر بالأسماء وهي نقطة تمنح المؤلف مصداقية التسجيل وقدرة مستقبلية على الاحتفاء بالتراث والاهتمام به.

نجوى هاشم

جريدة الرياض ٦ ربيع الأول ١٤١٩ هـ العدد ١٠٩٦٣

اعتمد المؤلف على التوثيق الشفهي في إعداد مادة الكتاب لانعدام الوثائق الكتابية التي يمكن أن تسعفه في لملمة أطراف هذا الموضوع الاجتماعي الاقتصادي مما زاد أثرا في الخصوصية الحيوية لهذا الكتاب ذي الطابع الإناسي والتاريخي والحكائي.

حسين بافقيه

جريدة الحياة ١٣ جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ العدد ١٢٩٩٧

المؤلف

- عبد العزيز عمر سعيد أبو زيد، من مواليد مدينة جدة عام ١٣٨٨
- حصل على بكالوريوس الإعلام تخصص علاقات عامة من جامعة الملك عبد العزيز عام ١٤١٢هـ.
- حصل على الدبلوم العالي في التربية الخاصة من جامعة الملك عبد العزيز عام ١٤٢٩ هـ.
- عمل محرراً صحفيا متعاوناً في مكتب جريدة الرياض بجدة منذ عام ١٤٠٧هـ وحتى عام ١٤٣١ هـ.
- صدر له كتاب «المعماريون في جدة القديمة».

لمراسلة المؤلف :

المملكة العربية السعودية

ص.ب ١٢٥٨٥ جدة ٢١٤٨٣

aazzez@hotmail.com

ردمك: ١-٢١٨-٠١-٦٠٣-٩٧٨